وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : العلوم الانسانية
الشعبة: التاريخ

العادات والتّقاليد الجزائرية من خلال (كتاب منطقة القبائل والأعراف القبائلية لهانوتو)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التّاريخ

تخصص: المقاومة والحركة الوطنية

من إعداد الطالبتين:
أحلام كلباز
أسماء مصباحي

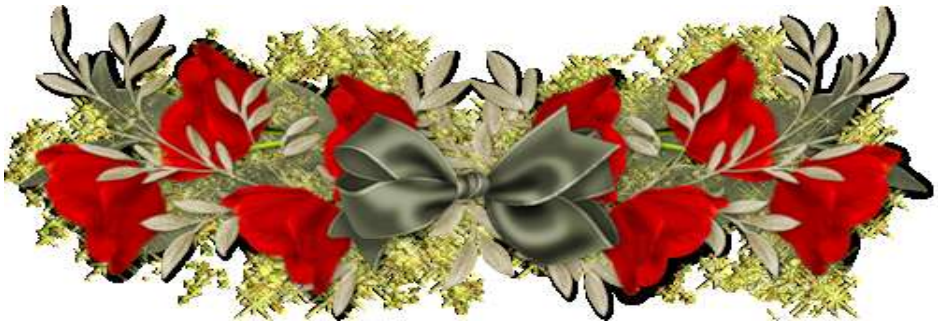
إشراف الأستاذ:
ناصر بوقرو

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
مناد يعيش	دكتور	رئيساً
ناصر بوقرو	دكتور	مشرفاً ومقرراً
أصفصاف	دكتور	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية:
1444هـ/ 1445هـ - 2022م/ 2023م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفــان



قال ﷺ(من لم يشكر الناس لم يشكره الله)

فالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على امام المتقين وقائد المجاهدين والله وصحبه أجمعين وأما بعد:

لا يسعنا بعد أن أكرمنا العلي القدير بإتمام هذا العمل المتواضع الا أن نتقدم بجزيل الشكر وعرفان إلى من تقدم لنا بالنصيحة والتوجيه إلى الأخذ بالمعلومات الصحيحة في هذا العمل، أخص بالذكر:

أستاذنا الفاضل ناصر بوقر والذي كرمنا بتوجيهاته اذ لم يدخر جهدا في ارشادنا .

ونشكر الأساتذة المحكمين الذين ابدوا ملاحظتهم وآرائهم في أداء الدراسة.

الى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

إهداء

قبل كل شئ أحمد الله تعالى وأشكره، الذي وفقني وأعانني على اتمام هذا العمل.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من قال فيهما الرحمان :" ... واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا."

الى من جعلت نفسها شمعة لتنير دربي، وأمنياتها أن تراني ناجحة إلى أمي الغالية "فاطمة."

الى من أنار دربي ولم يبخل علي بعطائه ونصائحه إلى أبي الغالي "أحمد."

الى من شاركتني هذا البحث المتواضع أختي وصديقتي (أسماء)

الى من ساندتني ووقفت إلى الجانبي , إلى أختي (وسام) ،.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أفراد عائلتي الكريمة

أحلام



إهداء

الى من شقي وسهر على تربيتي وبذل كل جهد من أجل راحة إلى من غرس في نفسي حب العلم والاجتهاد والمثابرة،

أرجو أن أكون قد حققت ولو جزء من أمنياتك

أهديك هذه الرسالة أبي العزيز (عامر) أطال الله عمرك.

الى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من الأوراق الصبر وطرزتها في ظلام الدهر.

رسالة تعلم كيف يكون العطاء وتعلم كيف يكون الوفاء.

اليك أمي عزيزة قلبي (بركاهم) أهدي هذه الرسالة أطال الله عمرك .

الى أختي ورفيقتي (أحلام) التّي شاركتني في هذا العمل المتواضع.

الى من أدين لهم بالود والالفة، إلى الشموع التّي تنير بيتن

اخواتي(وسام،فتيحة ،فاطيمة ،محمد ،العربي،سالمة،عائشة، سعيدة، فاطنة

أسمـــاء

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ش. و. ن. ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
د . ت	دون تاريخ
تر	ترجمة
ج	الجزء
ص	صفحة
ت ع	تعريب
ت ق	تقديم
ت ح	تحقيق
م	ميلادي
هـ	هجري
ط	الطبعة

مقدمة

مقدمة:

بلاد القبائل تعتبر منطقة ذات ثقافة وتاريخ ،حيث تمتاز بتنوع عاداتها وتقاليدها التّي تمتد لعدة قرون، تعكس هذه العادات والتّقاليد قيم المجتمع ومعتقداته وتلعب دورا هاما في تحديد هويته وتلاحم أفراده .

منطقة القبائل هي منطقة ثقافية طبيعية في شمال افريقيا بصورة عامة ،وفي شمال شرق الجزائر بصورة خاصة، لكن الجدير بالذكر أن منطقة القبائل كانت أكثر استهدافا منذ بداية الاحتلال الفرنسي من قبل الباحثين الفرنسيين من خلال الضباط الذين تحروا حول المنطقة لأغراض عسكرية وسياسية ،أين حظيت منطقة القبائل أكثر بدراسات عميقة ومفصلة، وهذا من خلال الدراسة التّي قام بها ونشرها كل من هانوتو ولوتورنو، بعنوان منطقة القبائل والأعراف القبائلية 1893م . جاءت هذه الدراسة في ثلاث أجزاء تم التطرق فيها إلى جميع مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية لمنطقة القبائل .

في هذا السياق جاءت دراستنا الموسومة بالعادات والتّقاليد الجزائرية من خلال كتاب منطقة القبائل والأعراف القبائلية لهانوتو . ولعل من أهم الأسباب التّي دعتنا لدراسة هذا الموضوع منها ما كان ذاتيا يتعلق بالباحث نفسه ومنها ما كان موضوعيا فرضته طبيعة الموضوع من الأسباب نذكر:

الأسباب الذاتية:

الرغبة في البحث في مجال العادات والتّقاليد التّي تميز بها المجتمع القبائلي كغيره من المجتمعات الأخرى .

قلة الدراسات التّاريخية التّي تناولت مجال العادات والتّقاليد .

الأسباب الموضوعية :

محاولة معرفة الجوانب الثقافية الموجودة في المجتمع القبائلي .

الوقوف على العادات والتّقاليد التّي تشكل روح المجتمع القبائلي، والتي تعتبر بمثابة القوانين التّي تنظم تعاملات المجتمع القبائلي فيما بينهم .

الأهداف :

لقد جاءت دراستنا هذه لتخدم العديد من الأهداف من بينها نذكر :

تقديم صورة واضحة وقريبة عن أهم العادات والتّقاليد في المنطقة .

المساهمة بقسط متواضع في معرفة تاريخ المنطقة والتي تعتبر الأكثر استهدافا من غيرها .

الاشكالية :

كيف ساهمت دراسة هانوتو في وصف عادات وتقاليد المجتمع القبائلي ؟

للإجابة على هذه الاشكالية تم تفكيكها إلى تساؤلات فرعية وهي على نحو التالي:

ماهي أهم دوافع دراسة هانوتو لمنطقة القبائل ؟

فيما تمثلت الملامح الجغرافية والبشرية التّي تميزت بها منطقة القبائل؟

ماهي أبرز عادات وتقاليد المجتمع القبائلي من خلال دراسة هانوتو ؟

هذا البحث كان ظاهرة تاريخية لذلك رأينا من بين المناهج التّي تساعد على عرض بحثنا هو المنهج التّاريخي الوصفي الذي يهتم بدراسة القضايا التّاريخية وأزمنتها وأصل منشأها، والوصفي الذي يعتمد على وصف الأحداث دون التبديل فيها أو التغيير

دراسة خطة البحث:

للاجابة على هذه الاشكالية التّي تمس العادات والتّقاليد للمجتمع القبائلي ،حيث انتهى البحث بتقسيمه إلى مبحث تمهيدي وثلاث مباحث رئيسية، جاء المبحث التمهيدي بعنوان بطاقة قراءة يندرج تحته ثلاث مطالب، المطلب الأول : تعريف بالكاتب أدولف هانوتو، المطلب الثاني :التعريف بالكتاب، المطلب الثالث : دوافع الكتابة.

المبحث الأول حول الاطار المفاهيمي لشرح التعاريف، يندرج تحته ثلاث مطالب : المطلب الأول تعريف العادات والتّقاليد، المطلب الثاني تعريف العرف (الأعراف)، المطلب الثالث تعريف القبائل.

أما المبحث الثاني جاء بعنوان الاطار الجغرافي(الملامح الجغرافية والبشرية) ،قمنا بتقسيمه إلى ثلاث مطالب، المطلب الأول أصل السكان، المطلب الثاني التضاريس ،المطلب الثالث النباتات والحيوانات . وفي أخير المبحث الثالث حاولنا تسليط الضوء على العادات والتّقاليد عند المجتمع القبائلي ،يندرج تحته ثلاث مطالب، المطلب الأول بعنوان الجانب الثقافي (اللغة، الدين، اللباس، الغذاء).أما المطلب الثاني الجانب الاجتماعي (الزواج، الطلاق، الميراث، التعليم، الطب). المطلب الثالث بعنوان الجانب الاقتصادي (الزراعة، الصناعة، التجارة).

في الأخير توصلنا إلى خاتمة كانت عبارة عن مجموعة من النتائج اذا حاولنا الالمام بكل الجوانب المتعلقة بالعادات والتّقاليد منطقة القبائل من خلال دراسة هانوتو، معتمدين بذلك على مجموعة من المصادر والمراجع.

أهم المصادر:

القراءن الكريم

أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية.

أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة.

أهم المراجع:

بوعزيزي يحي ،الحالة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19عشر.

دباب فوزية، القيم والعادات الإجتماعية لبعض العادات.

مالية حمداني، المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية.

جعفري عز الدين ،أطلس العادات والتّقاليد بمنطقة توات.

صعوبات الدراسة:

قلة المصادر التّاريخية التّي تتحدث عن عادات وتقاليد منطقة القبائل.

عدم توفر المادة العلمية التّي تتحدث عن ردود فعل على دراسة هانوتو لمنطقة القبائل.

مبحث تمهيدي



بطاقة قراءة

مبحث تمهيدي: بطاقة قراءة

المطلب الأول: تعريف أدولف هانوتو

أدولف هانوتو (1814-1897م) ضابط فرنسي مشهور، كرس حياته لخدمة مصالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالبندقية والقلم. وصل إلى الجزائر سنة 1845 برتبة ملازم، وعين سنة 1846 موظفا في الإدارة المركزية للشؤون العربية التّي كان يشرف عليها الجنرال أوجيت دوماس واقتضت منه هذه الوظيفة تعلم اللغتين العربية والأمازيغية الضروريتين للتواصل مع الجزائريين والإحاطة بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بهدف توفير سبل النجاح للمشروع الاستعماري. ثم عين رئيسا لمكتب الشؤون العربية بالمدية لبعض الوقت، ليشارك بعدها في الحملات العسكرية التّي استهدفت منطقة زواوة (القبائل) خلال سنوات 1847، 1854، 1856، وفي سنة 1859 عينه نابليون الثالث على مركز ذراع الميزان العسكري، ليحول إلى ثكنة حصن نابليون سنة 1860، ثم عاد إلى مدينة الجزائر سنة 1862 لتسند له المديرية العامة لشؤون الأهالي، ليعود ثانية إلى قيادة ثكنة لربعا نات ايراثن سنة 1866م، وهناك تم التحرير النهائي لكتابة موضوع الدراسة[1].

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب "منطقة القبائل والأعراف"

صدر الكتاب في ثلاثة أجزاء، بلغ مجموع صفحاته الإجمالية 1238 صفحة، خصص الجزء الاول لدراسة الظروف الطبيعية لمنطقة القبائل، من حيث التركيب البيولوجي والغطاء النباتي والحيوانات والطيور البرية، وحالة السكان من حيث الجنس، وتوزيعهم على الأعراش واللغة والديانة والسكن والغذاء واللباس والأعراف والأوبئة، والنشاطات الإقتصادية

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية ج1 تر: مخلوف عبد الحميد دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2019، ص 8.

كزراعة الحبوب وغرس الأشجار وتربية الحيوانات، والنشاطات الصناعية العديدة (صناعات الزيت والصابون والجلود والصوف والفخار والعملة المزيفة والقماش والطرز والحلي والنقش والطواجين والغرابيل والمصنوعات الحديدية والأخشاب) والتجارة وموازينها[1].

أما الجزء الثاني فقد خصصه لمختلف تنظيمات (ثاجماعات) التّي تنظم شتى جوانب الحياة في القرية، بدءا بتشكيل نظام يعتمد على تنظيم العلاقات بين السكان في مجالات التساكن والجوار، والزواج والطلاق والأفراح والأتراح، والخدمات المشتركة كالإجارة والأعمال الفلاحية كالمزارعة ، والنشاطات المعيشية، وأنواع معاملات البيوع والوقف والرهن، والشفعة، والإقراض، وتحديد الحقوق والواجبات، وأنواع المخالفات وعقوباتها، التّي شملت كل نواحي الحياة في القرية[2].

وخصص الجزء الثالث للجانب القضائي، فأورد عشرين (20) قانونا عرفيا بالتفصيل، وثلاثين 30 قانونا عرفيا باختصار لمختلف القرى، وقد جمعها على العموم ما بين (1858- 1864) من خمس دوائر (محاور) كبرى، حيث تتمركز القيادات العسكرية كالتالي:

1- محور ذراع الميزان: تم جمع القوانين العرفية من القرى التالية:

شرفة قيغيل قيكن، إغيل إموله، ثاوريت عبد الله، أذرار أملال، آث بوشمامة، آث علي ولول، آث عبد العالي، أوقذال.

2- محور حصن نابليون (لربعا ناث يراثن): قام بجمع القوانين العرفية من:

[1] أدولف هانوتو منطقة القبائل والأعراف القبائلية ج1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 15.

[2] نفسه، ص 15.

آث يراثن، آث فرح، قرية كوكو، ثيروال أقني تسلانت، إغيل بواهاس، ثاوريرث، آث يني، ثاوريث ناث يجر، آث سعاده، أعفير ناث

3-محور تيزي وزو: شمل القرى والأعراش التالية: جمعة أولاد الشيخ ، آث خليفة، ثاقمونت أوكروث، آث عيسو وميمون، أث لعذر آزفون، آث غيري

4- محور دلس: تكفل المترجم العسكري الفرنسي مييز meyer بجمعها من المناطق (الأعراش) التالية: آث واقنون، وإفليست لبحار، وإفليست أومليل.[1]

المطلب الثالث: دوافع الكتابة

لعل من أهم الدوافع التّي دعت الكاتب هانوتو لدراسة موضوع عادات وتقاليد بلاد القبائل نذكر:

- فهم تركيبة المجتمع الجزائري والنفاذ إلى أعماق ثقافته من أجل إحكام السيطرة على الجزائريين.

- مساعدة الإدارة الفرنسية على بسط نفوذها.

- هدم القضاء الاسلامي تمهيدا لتكريس القضاء الفرنسي.

- تقسيم الجزائريين إلى عرب وبربر واعتبار العنصر البربري مؤهل للاندماج في الحضارة الفرنسية، بحجة أن مسيحية الزواوة قديمة متجذرة، وإسلامهم سطحي ونظمهم الإجتماعية متشابهة لما كان موجودا في أوربا، وبدعوى وجود روابط تاريخية وعرفية بين البربر وأجداد الفرنسيين.

[1] نفس المصدر السابق، ص 16.

المبحث الأول



الاطار المفاهيمي

المبحث الأول: الاطار المفاهيمي

المطلب الأول: تعريف العادات والتّقاليد

1- تعريف العادات

1-1. تعريف العادات لغة

تعرض اللغويون لتعريف العادة وضبطوها على أنها مأخوذة من الجذر اللغوي ع ا د (عاد).

لغة: اعتاد الشيء عادة لنفسه والعادة هي ما يعتاد الإنسان ويعود إليه مرارا وتكرارا والعادة هي جمع عادات وعوائد.

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس بأنها عادة عودا صيره عادة، وأعاد الشيء.

والعادة كما جاء به ابن منظور هي من العودة أو الأمر الذي يعاد إليه معروفة وجمعها عادات وعيد ... والعيد لما يعود إليه من الشوق والرضا[1].

1-2. تعريف العادات اصطلاحا

العادة الإجتماعية بصفة عامة كما يعرفها حلبن وحلبن هي: كل سلوك يكتسب اجتماعيا، ويتعلم اجتماعيا ويمارس ويتوارث اجتماعيا، وليس معنى هذا أن سلوك متكرر يدخل في إطار العادات الإجتماعية، فهناك أنواع من السلوك المتكرر تعتبر عادات خاصة

[1] عز الدين جعفري، أطلس العادات والتّقاليد بمنطقة "توات"، أطروحة دكتوراه في التّاريخ، التراث اللامادي الجزائري، جامعة أبي بكر القايد، تلمسان 2018، ص ص17-18.

بالفرد بل تعد في كثير من الأحيان لوازم له هو شخصيا، أي أنها ليست عادات تشرك فيها الجماعة ولذلك فالعادات الفردية لا تعتبر قسما من أقسام العادات الإجتماعية ولكننا على أية حال يجب أن لا يترك هذا المجال دون أن نميز باختصار بين العادات الإجتماعية من جهة والعادات الفردية (عادات المشي والكلام والاكل وغيره)[1].

وهناك من يعرف العادات "على أنها مجموعة من الأفعال والأساليب والسلوكات المكتسبة التّي يتوارثها الخلف عن السلف وترتبط بزمان ومكان معينين، حيث يقول ريل rihal السلوك يتحول إلى عادة عندما يثبت من خلال عدة أجيال ويتوسع وينمو ومن ثم يكتسب سلطانا. ومن ذلك يقصد ريل rihal أن السلوك يرتقي إلى عادة ويصبح تقليدا، وذلك عندما يتوارث من جيل إلى جيل ويثبت من الممارسة وبالتالي يكسب السلطان أو المصداقية فيصبح من العادات والتّقاليد الثابتة لأمة أو مجتمع ما[2].

2- تعريف التّقاليد

2-1. تعريف التّقاليد لغة

لقد أخذ مصطلح التقليد في اللغة عدة معان حيث جاء بمعنى التعليق فقيل: علق القلادة في عنق المرأة، ونقول قلد المرأة قلادة جعلها في عنقها، وقلده العمل فوضفه إليه وقلده الأمر تبعه فيه من غير نظر.

ومصطلح التّقاليد في اللغة الفرنسية مشتقة من الأصل الاتيني لكلمة trad وتعني النقل والتجارة، وفي الانجليزي trade وهي نقل الشيء من مكان إلى آخر، وتقليد في اللغة

[1] فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية، بيروت، ص 104.
[2] فوزية دياب، المرجع السابق، ص 106.

العربية مصدر من الفعل قلد ولغة وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم ... فنقول قلد فلانا أي تبعه وحاكاه فيما يقول أو يفعل[1].

2-2. تعريف التّقاليد اصطلاحا

أما التعريف الاصطلاحي للتقاليد فهي عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك عن الرضا والاتفاق الجمعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التّي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل[2].

فالتّقاليد هي كل مكان اتفق عليه الجماعة ودل على الماضي والقديم، حيث تتناقل من الخلف إلى السلف لذلك هي عادات اجتماعية تقليدية ذلك لأنه عندما يستمر استعمال العادات الإجتماعية لفترات طويلة تصبح تقليدا والتّقاليد عادات مقتبسة اقتباسا رأسيا أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهي تنتقل وتورث من جيل لأخر ومن السلف إلى الخلف على مر الزمن، فالتّقاليد هي بمثابة القواعد التّي تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري، فالتّقاليد هي النظام التطبيقي المتفق عليه من الناس والذي يؤدي إلى الاتساق بين أفعال الناس وبين بعضهم البعض[3].

المطلب الثاني: تعريف العرف

العرف هم مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات التّي تخلق في جو الجماعة حيث تمثل مقدسات الجماعة ومحرمتها وتنعكس فيما يعمله الإفراد من أعمال وما يلجؤون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجماعي.

---

[1] عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص 20.

[2] أسعد فايزة، المرجع السابق، ص95.

[3] أسعد فايزة، المرجع السابق، ص 100.

ولقد تعددت تعاريف العرف ولكن تتفق كلها في كون أن العرف يطلق على بعض العادات التّي تمتاز بشدة الالتزام، أي العادة التّي يجبر الفرد القيام بها بغرض الحفاظ على كيان الجماعة[1].

يعتبر العرف بمثابة الميثاق الذي يقوم بضبط النظام الاجتماعي ويوجه سلوك الأفراد ويصونها وذلك لما فيه ملاح المجتمع الذي يعيشون فيه، حيث يشير بوتشيت إبراهيم بقوله "من المتعارف عليه أن العرف القبلي عبارة عن ميثاق ينظم المجموعة القبلية لما فيه مصلحتها ومصلحة أفرادها"[2].

تقوم الأعراف في منطقة القبائل على ثلاث مراجع أساسية هي:

المرجع الأول: ارتباط الأعراف بالقيم المستمدة من العرش، حيث نجد أن السلطة التّي يقوم عليها العرف نابعة من فعل الأعراف السائدة في المجتمع القبائلي حيث تعمل هذه السلطة الإجتماعية باحترام المكانة لتقليدية التّي ترتبط النسب والانتماء القرابي إلى الشخصية الجماعية للعرش.

المرجع الثاني: تتمثل في المرجعية الدينية، حيث ترتبط أساسا بالتجربة التنظيمية للقرية المرابطة التّي عملت على إدماج القيم والمبادئ الدينية بمضمون القانون العربي السائد في القرية القبائلية منذ القدم.

[1] أسعد فايزة، العادات الإجتماعية والتّقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة ومقارنة سوسيو–أنثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران ندرومة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2018م، ص ص 26– 94.

[2] المرجع نفسه، ص 83، ص 90.

المرجع الثالث: يعتبر هذا المرجع الذي تميزت به القوانين الإجتماعية ويرتبط بالشكل الجمعوي للقرية القبائلية التّي مزجت بالممارسة الإدارية بأسلوب التنظيم البيروقراطي لهذه القوانين[1].

المطلب الثالث: تعريف القبائل

تسمية المنطقة بمصطلح القبائل أو القبايل هي تسمية أطلقها العثمانيون على المناطق الجبلية الحصينة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر، فهذه التسمية أصبحت أكثر استعمالا وبخاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث يذكر الجنرال دوماس (daumes) والنقيب فابار (fabar) أن الكلمة لم تطلق على السكان الجبليين لإفريقيا الشمالية، إلا بعد الفتح الإسلامي لها، وبالتالي لزم الأمر البحث في أعماق اللغة العربية لفهم دلالتها[2] فلكلمة ثلاثة اشتقاقات هي:

القبيلة: (kabyla) قبل (kebel) بكسر الباء قبل بتسكين الباء (kobel) فإذا كان المعنى الأول يدل على منطقة القبائل عبارة عن مجموعة عشائر (قبائل)[3].

[1] حمداني مالية، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية دراسة ميدانية في مدينة ذراع بن خدة وقرية ترميث، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر، 2010، ص 66.

[2] نفس المرجع، ص 65.

[3] ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج11، دار بيروت الطباعة والنشر، لبنان، د ت، ص 541.

المبحث الثاني



الاطار الجغرافي

(الملامح الجغرافية والبشرية)

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي (الملامح الجغرافية والبشرية)

المطلب الأول: أصل السكان

يطلق اسم القبائليين في الجزائر على سكان من جنس البربر الذين يسكنون جبال ساحل البحر الأبيض المتوسط فبني مناصر في شمال شرشال، بني موزاية / بني منيصرة بني عزون، بحيث تتاخم أراضيهم سهل متيجة، هم قبائليون مثلما هو الحالب لسكان جبال جرجرة أو لنواحي القل.[1]

على الرغم من أصل المجموعة الواحد لهؤلاء السكان إلا أن حالتهم السياسية والإجتماعية بعيدا ما تكون متماثلة، كلهم تعرضوا بدرجات متفاوتة التأثير العربي أو بالأحرى للتأثير الاسلامي الذي يمثله الجنس العربي بشكل خاص الذي استورده ونشره أثناء الغزوات الاسلامية، فمنهم من خضع منذ زمن بعيد للحكومات الإسلامية المتعاقبة ففقدوا حتى الذكريات عن أصولهم، يقولون ويعتقدون بأنهم عرب، لا يتكلمون إلا العربية يطيعون قادة تعينهم سلطات البلد ويخضعون بدون أفكار مسبقة لتعاليم الدين الإسلامي[2].

ومن جهة أخرى نجد أن الشيخ أبو يعلي الزواوي قد كتب حول سكان هذه المنطقة (منطقة القبائل) عددا ما يسميهم بالمحامد اذ قال محامد الزواوة جمعهم أشتات محاسن العرب والعجم والبربر، فقد تجدهم عرب في الشجاعة والكرم وشدة الألفة والغيرة وحماية الجار والمحافظة على الأعراض والنزوع إلى الحرية إلى غير ذلك مما يلزم الفخر العربي[3].

---

[1] أدولف هانوتو منطقة القبائل والأعراف القبائلية الجزء1. تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص23.

[2] المصدر نفسه ص 24.

[3] أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق، سهيل الخالدي منشورات وزارة الثقافة الجزائر، د ت ص19.

تعريف بالشخصية: أبي يعلي الزواوي، هو الشيخ العلامة السعيد بن محمد شريف، ولد سنة 1862 بإغيل زكري قرية تاعاروست أين كان والده إماما ومدرسا للقرآن الكريم، تلقى تعليمه الأول على يد والده، حفظ القرآن الكريم وهو ابن الثانية عشر سنة درس بزاوية سيدي عبد الرحمان الأيلولي بمنطقة عزازقة في شبابه تعرض للسجن على أثر قتله لشخص اعتدى على والده، صدر في حقه الحكم بالسجن لمدة سبع سنوات لكن نظرا لحسن سيرته أفرج بعد مضي ثلاث سنوات فقط، كانت تجربته بالسجن فرصة لتعلم اللغة الفرنسية ما سمح له بالحصول على وظيفة لدى الإدارة الفرنسية التّي عينته كاتبا بالقنصلية الفرنسية بدمشق إلا أن السلطة الفرنسية لم تتمكن من احتواءه فتخلت عنه وعاد إلى أرض الوطن سنة 1924 وعين إمام مسجد سيدي رمضان، حيث ظل إلى مماته سنة 1952م، أنظر تعريفه في عليق اسماعيل بوراي كتاب التّاريخ، تاريخ الزواوة لأبي يعلي الزواوي.

ويذكر كذلك في كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول على أن أصول البربر أنهم من كنعان ومن العماليق وأما تسميتهم فإنه يرجعها إلى افريقش الملك الحميري الذي قال لهم: ما أكثر بربريتكم كما قال في هذا الشأن شعر أجاد في بدايته:

بربرت كنعان لما سقيتها من أرض**الضنك إلى العيش الخصيب**

فالبربر في شدة الحياد والمحافظة على العرض والصبر على الشدائد واحتمال المكاره والكد والجد في سبيل الأسرة والحياة الأهلية والجماعية والعصبية وذلك أن للبربر خصائل تذكر فتشكل[1]:

وملخص الأبحاث هاته الطائفة أن البربر ليسوا أمة مستقلة وإنما مزيج من أمم شرقية وأوربية وحد بينهما الوطن وإن الذي أجمع على صحته من هذه الروايات كلها أنهم حاميون

[1] بناجي جارية، دراسة حول المرأة القبائلية الريفية، 1954-1962 أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2013، ص9، ص10.

من مازيغ بن كنعان بن حام وهذا ما يعتبر القول الفصل والمرجعية الموثوقة عند عامة المؤرخين العرب خاصة وأن من أثر بذلك العلامة ابن خلدون المتجر في علم الأنساب " والحقي الذي لا ينتهي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأن اسم أبيهم مازيغ[1].

ويذهب ابن خلدون كذلك في ذكره لمصطلح زواوة " إذ يقول أن هاته التسمية من اسم الجد الأول ويعتبره البربر التحيز ولم يعطي للمصطلح على غرار التّي أولاها لزعامته والأصح أن زواوة نطقها البربر أنفسهم (ايقارون) مفردها أقطو، عربت بقلب الجيم الأعجمية المصرية زايا وألحقت بها واو النسبة، أما مؤرخو العرب والبربر الذين عنوا بأنساب البربر وأحوالهم فيرجعون نسبهم إلى أصول عربية سامية ويقولون إنهم من أبناء قيس عيلان ويقسمون أنفسهم إلى قسمين كبيرين هما:

1. البربر البرانس: وهم البربر المستقدمون الذين يعملون ويعيشون على الزراعة
2. البربر البشر: وهم البربر الرحل والذين يسكنون في البادية ويعيشون على الرعي والتنقل[2].

المطلب الثاني: التضاريس

1-الجبال

يقول هانوتو...

تغلب على هذه المنطقة الواسعة، الجبلية بامتياز، مرتفعات جرجرة الممتدة بالجزء الشرقي في سلسلة مستمرة، بشكل طرفاها من الغرب، هضبة شمال منيرفيل (الثنية) حصن

[1] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص13.

[2] أحمد ساحي، الزواوة من القر السادس العشر من الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512-1767 0،الأمثل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2015، ص19

الشرق. غورايا (بجاية)، هذا الضلع الناتئ المحيط بمنطقة القبائل يمثل قوسا بشعاع كبير وبانحناءات غير منتظمة، إذ أن تجويفها متجه نحو البحر[1]، فامتداد جبال جرجرة نحو الشمال الشرقي تنتشر سلسلة من الفروع تجمعها أكفادو، المنطقة التّي تمتاز بغابتها الرائعة الممتدة عبر التلال ساندة إلى غاية شاطئ البحر، وموازاة مع الساحل، من دلس إلى بجاية، تمتد سلسلة شبه جبلية أسميها سلسلة الساحل، وهو اسم ينطبق عليها تماما وبغرب جرجرة، الذي ينحدر من هذه الجهة تقريبا بدرجة واحدة، يمتد الضلع الصخري الرئيسي عبر سلسلة متواصلة ليلتصق من خلال جبل بوزقزقة بجبال الأطلس في متيجة من جهة، ومن الجهة الأخرى يبدأ في الانخفاض تدريجيا بمنطقة التلال والجبال قليلة الارتفاع التّي يمكن أن نطلق عليها القبائل السفلى[2].

هذه الخطوط الكبيرة المرسومة بوضوح، سمحت بتقسيم بلاد القبائل إلى أربعة مناطق، لكل منها طابعها الخاص، التّي يمكن تعريفها على الوجه الآتي:

منطقة الوسط: تضم جرجرة وكل الكتلة الجبلية القبائلية التّي تحدها شمالا ومن الشرق، سهل سيباو ومن الغرب والجنوب منخفض ذراع الميزان، إنه لب بلاد القبائل.

المنطقة الشرقية: تشكل الكتلة الغابية لأكفادو ومع امتدادها حاجزا. إن صح التعبير، بين قبائل جرجرة وقبائل البابور.

المنطقة الساحلية: التّي هي امتداد جانبي لسابقتها، لكنها بمظهر مختلف، بحيث أن الغابات محددة والارتفاع يتناقص تدريجيا لينخفض بتلال يسير.

[1] أدولف هانوتو منطقة القبائل، والأعراف القبائلية، الجزء 1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص 27.

المنطقة الغربية: تتشكل من سلسلة رئيسية بحيث تتجه جبالها الساندة تدريجيا نحو التلال المنخفضة الساحل.[1]

إن الأهمية الجبلية لكل منطقة منة هذه المناطق تتناقص بحسب هذا النسق بينما السفوح الجنوبية الشرقية للقسم الأكثر ارتفاعا لجرجرة وسلسلة أكفادو، تنحدر بشكل سريع إلى سهل وادي الساحل الذي يشكل خندقا حقيقيا بأسفل قبائل جرجرة...[2]

1-1.منطقة الوسط:

جرجرة: تمتد سلسلة جبال جرجرة على مسافة حوالي 60 كيلومترا من ثيزعي أو جعبوب (فج القصب) (1185 متر) نحو الغرب إلى غاية ثيزعي شريعة (فج لشريعة) (1213 متر) إلى الشرق، وتتكون في الحقيقة من سلسلتين متحدين تكونان ذروة ميل متصلة، بحيث تظل منخفضاتها فوق 1600 مترا باستثناء الواقعة منها في الجانب الشرقي (شلاطة).

يمكن لوصول إلى جرجرة من جميع الجهات، ليس هناك رأس ميل، مهما كان ومرا، لم تطأه الرعاة القبائليين بعنزاتهم صيفا، فهو مخطى بالثلوج منذ بداية نوفمبر إلى غاية نهاية ماي، ويستمر عبوره تقريبا في فصل الشتاء، وتكون الثلوج على قمته، حيث يكون الشتاء قاسيا إلى غاية جوان...[3]

في أقصى الجهة الغربية، ترتفع السلسلة بغتة بدرجة واحدة من 1250 إلى 2000 متر، وتشكل قمة ناشئة مشنة يقبع بوسطها جبل ثامفوط حيزر (123م)، لكن النقطة الأكثر

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 27.

[2] المصدر نفسه، ص 27.

[3] نفسه، ص28.

علوا من هذا الضلع الأول، غير بعيد، بالجهة الشمالية الشرقية يبلغ ارتفاعها 2146 مترا ...[1]

1-2.المنطقة الشرقية

سنقتصر في هذا الجزء على سفح سيباو، الذي يحدده تل التقسيم الفاصل بين منطقتين مختلفتين، والذي وقع عليه الاختيار لسبب وجيه، كحد إداري لعمالتي الجزائر وقسنطينة[2].

فالسلسة الرئيسية التّي يمكن أن نطلق عليها اسم سلسلة أكفادو تتجه بشكل محسوس من الجنوب إلى الشمال، فالقسم الساندة الأكثر ارتفاعا تغطيها غابات جميلة من اشجار بلوط الفلين، بلوط الزان وبلوط تغطيها الأفارس، وتنحصر بينها منخفضات ووديان تخترق جوف الأرض بتربته الصلصالية مشكلة لوحدها أحيانا بقعا فسيحة جدا، فالقمم العالية بها لا تقل ارتفاعا عن مثيلاتها في الجزء المجاور من جرجرة، وبأعالي فج شريعة، فإن جبل الزان يبلغ ارتفاع قمته الغابية 1647 متر، ثم يأتي منخفض أكفادو 1385م[3].

فالتلال الساندة الرئيسية الممتدة نحو الغرب راحت تواصل امتدادها في شكل سلسلة من الروابي الهامة المعزولة نسبيا إلى غاية وادي سيباو، كل هذه المنطقة الاهلة بأث ايجار واث غوبري، تعكس مظهرا رائعا ومتنوعا بتلالها وكتلها الصخرية وكذا جمال غاباتها لكن تتلخص في سيماء واحدة: تلال وروابي تكسوها غابات فوق طبقات من الصخور الرملية وعلى مرتفعاتها تعسكر قرى باعتزاز[4].

---

[1] أدلوف هانوتو، منطقة القبائل والاعراف القبائلية، الجزء1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل والطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص28.

[3] نفسه، ص 36.

[4] نفسه، ص 36.

وتعتبر التلال الساندة لآت صالح بوعالم 1289 وجبل عفرون 1317م الضلوع الرئيسية، وإلى الشمال فإن التلال التّي تهيمن على سفح الضفة اليمنى أسيف الحمام تمتد نحو الغرب، فسفح أث إيجار يقابل سفح جرجرة وبفصل بينهما واد سيبار والأعلى واد بوبهير فهذا المنخفض الذي يصل عرضه إلى 5 أو 6 كلم قد تكون من روابي صلصالية متموجة، بحيث يتراوح متوسط ارتفاعها بين 300 و450 متر[1].

1-3. المنطقة الساحلية

لقد تشكل هيكل هذه المنطقة الجبلية من سلسلة هامة، تمتد من الشرق إلى الغرب وبعض الانعطافات متبعة اتجاه الشاطئ بشكل متواز محسوس تبتعد عنه بمسافة تتراوح في المتوسط بين7 و9 كيلومترات هذه السلسلة التّي يتراوح ارتفاعها بين 900 و1200 متر، تقطعها من الشرق وهاد مزالة، وتنتهي من جهة الغرب عطفة سيباو ومن الجنوب دلس وهكذا يصل طولها تقريبا إلى 65 كلم، وتستحق تسميتها بسلسلة الساحل[2].

فتضاريسها وعرة وصخرية في الجهة الشرقية حيث تلتصق بسلاسل جبلية مميزة بسفح أكفادو، حيث تعيد مظهر الهيكل بدقة، وتقسمها الهوة العميقة لأسيف الحمام إلى جزئين إلى الشرق جبل قرينيو 147م بتلاله الساندة الآهلة بقبائل ببني حساين وعزوزة، ومن جهة الغرب المرتفع الغابي لتمقوت اث جناد ويبلغ ارتفاع قمته 1278م[3].

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل، الطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 36.

[2] نفسه، ص 36.

[3] نفسه، ص 37.

1-4. المنطقة الغربية

بين تلال يسر وبين التلال المجاورة للجزء الشرقي لسهل متيجة يظهر مرتفع جبلي ويبدو سواء من مظهره أو من تكوينه الجيولوجي كتابع لسفح جرجرة، ففج منير فيل (الثنية) يشكل منخفضا بارزا يعتبر المعبر السهل للالتحاق ببلاد القبائل، وإلى الشمال فإن سلسلة بوعاروس الصغيرة 453م، تنتهي في شكل جرف بكاب بلان (الرأس الأبيض) والى الجنوب يرتفع السفح بمنطقة الخشنة 630م وينتهي ملتصقا بسلسلة عمال، وهو الجزء من الضلع البارز الذي يشكل نحو الغرب امتدادا الجرجرة[1].

هذه السلسلة الطويلة تتواجد بها، وسط روابي وتلال ساندة مرتفعات عالية وروابي صخرية بانحدارات متعرجة مما يضفي طابعا جماليا على طرقها وممراتها الضيقة[2].

* **أهم القمم الجبلية**

- قمة ورجة 1395م
- ثيفردوت (أبي يوسف) 1197 م
- سوق السبت (أعالي ميشلي) 1232م
- أقمون أزام (اث ايراثن) 1027 م
- اشيريظان (اث ايراثن) 1065 م
- رابية أبوديد (اث ايراثن) 1058 م

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل، الطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 37.

[2] نفسه، ص 33.

– فورناسيونال (اث ايراثن) 974 م[1].

2–المياه

تنتمي كل منطقة الوسط وكذا سفح السلسلة الشرقية لحوض سيباو، الذي يعتبر النهر القبائلي الرئيسي، فالمياه الآتية من الجهة الغربية تصب في وادي يسر، ويشكل سفحا الجهتين الجنوبية والشرقية من السلسلة الكبيرة وامتدادها الشرقي جزءا من حوض وادي الساحل وفي منطقة الساحل تتوالى السلسلة من الأودية الصغيرة الساحلية، التّي هي في مجملها عبارة عن سيول (غير ذات أهمية)[2].

سيباو، إن حوض هذا المجرى المائي يحتل حوالي ثلاثة أرباع منطقة القبائل، إنه محصور بوضوح من الشمال بسلسلة الساحل، ومن الشرق سلسلة اكفادو، إنه محصور بوضوح، من الشمال بسلسلة الساحل، ومن الشرق بسلسلة أكفادو، ومن الجنوب بجرجرة وامتدادها.[3]

ومن الناحية الغربية، وباستثناء سلسلة فليسة، فقد تشكل الحد عن طريق نتئين، بالكاد يمكن ملاحظتها وسط منخفضات مجاورة، هما فج ثيزي غنيف، بين سلسلة نزليوة الصغيرة وسفح فليسة، والى الشمال فج الناصرية، بين هذا السفح الأخير وسلسلة بوبراك الصغيرة[4].

– يتخذ سيباو الذي بقي محصورا بين سهل كان دوماريشا (ثادمايت) وريبيفال آخذا في الاتساع نحو الأسفل، يتخذ مظهر نهر كبير، الذي ينتمي في شاطئ رملي على بعد 6 كلم غرب دلس، ويمكن تقدير طول هذا المجرى المائي ب 120 كلم.

---

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة وانشر والتوزيع تيزي وزو، 2013، ص 40.

[2] المصدر السابق، ص 34.

[3] نفسه، ص 41.

[4] نفسه، ص 41.

- **وادي عيسى:** يحمل عند ملتقى النهرين كميات هامة من المياه في موسم الفيضانات مثل سيباو، ووهو يتشكل من اتحاد ثلاثة فروع تلتقي فيما بينها وتنبع بجوار قمم جبال جرجرة، وادي جمعة إلى الشرق، ومصدره الرئيسي يقع بأزرو نتيروردة[1].
- **وادي بوقدورة:** يلتقي مياهه من جبل حيزر، لكن وهاد الوديان الصغيرة تنخفض بغتة بشكل يجعل وادي بوغني لا يكون إلا على ارتفاع 240 متر. تحت تسمية القرية التّي يمر بجوارها قبل أن يعبر السفح القبائلي، فملتقاه بوادي سيباو بذراع بن خدة لا يتعدى مستواه 40 متر، فهو ملتقى من جهته اليسرى عدة روافد تأتي من ذراع الميزان ومن تلال نزليوة، ويعتبر الجزء الأسفل من سفح فليسة[2].
- **وادي يسر:** ينبع هذا الوادي بحوضه الأكثر امتدادا من سابقه، من الجبل الأخضر، شرق بوغاري، فمجراه الممتد على طول 200 كلم، لا تمتلك منطقة القبائل سوى جزءه الأسفل، وبرافده وادي جمعة لحرشاوة. فإن وادي يسر يجاور من الجنوب، السلسلة الغربية عند تلال عمر وثيريس وهو يلتف عبر عدد من المنعطفات وادي يسر يجري بسرعة بهذه الوهاد العميقة والمتعرجة التّي تهيمن عليها الطريق على اليسار وخط السكك الحديدية على اليمين[3].

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة وانشر والتوزيع تيزي وزو، 2013، ص 43

[2] نفسه، ص 42.

[3] نفسه، ص 43.

الوديان الساحلية:

إن الوديان الساحلية التّي تستحق الذكر هي:

- وادي الاربعاء بين يسر وسيباو
- ويوجد في طرف سلسلة الساحل أسيف الحمام، الذي يعبر بعمق هذه السلسلة بأسفل ثمقوت اث جناد ومصدره الرئيسي يقع في التلال الساندة لأكفادو، يقع وادي الساحل مع روافده خارج القبائل الكبرى[1].

3-الأراضي

نظرة عامة عن التكوين الجيولوجي للقبائل:

نجد في منطقة القبائل، التّي تطورت بدرجات متفاوتة، أنواع مجمل التشكيلات الجيولوجية المعروفة في الجزائر، وتشكل الأراضي أهم المناطق البارزة والكاملة، أما التشكيلات الثنائية فتعود إلى : فترة من وسط العصر الثاني (جوراسية) وفترة نهاية العصر الثاني (كريتاسية)، لكن الأراضي التّي تشكلت في العصر الثالث (ميونسية) بالفحوص، التّي لعبت دورا رئيسيا في تكوين سواء لأهم خطوط القمم (العصر الحديث السابق) أو تشكل المنخفضات وتلال منطقة القبائل السفلى (تكونات الفترة الثالثة من العصر الثالث وأواخره)[2].

هذه الأراضي الثلاثية أو المتشكلة في العصر الثالث تتميز بتعقد طبقاتها المتنوعة التّي يعود تشكيلها إلى فترة طويلة من التكوينات المتعاقبة، والتي احتل معظمها أحواضا مستقلة بعضها عن بعض، وهي تقدم نمطا متكاملا يمكن ملاحظته بمنطقة الساحل للتل الجزائري وبالأخص منها الأراضي المشكلة في العصر الثالث التّي تكون بانقساماتها نسبة

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة وانشر والتوزيع تيزي وزو، 2013، ص 43.

[2] نفسه ص، 44.

كبيرة منها، إلى حد اعتبار منطقة القبائل كنموذج تقليدي لهذه التكوينات في الجزائر على صعيد آخر، فإن مختلف حقب العصر الجيولوجي الثالث توزعت بالشكل الذي يسمح بإعادة تمثيل بسهولة للحدود[1] التقريبية للأحواض التّي حدثت فيها هذه التسربات زيادة على ذلك فإن منطقة الساحل بجهتها الغربية على الأقل كانت مكانا لظواهر بركانية حدثت في مراحل متعددة من العصر الثالث فالصخور من أصل بركاني قد ارتبطت بالتكوين الرسوبي بشكل بارز، مما يسمح بتحديد فترة ظهورها بنوع من الدقة كل هذه الظروف تساعد على إعطاء منطقة القبائل مظهرا خاصا، فرديا بدرجة كبيرة، تجعل منها إحدى المناطق الطبيعية المتميزة أكثر في الجزائر[2].

المطلب الثالث: النباتات والحيوانات

1-النباتات

يعود استكشاف أصل نبات بمنطقة القبائل جرجرة إلى السيد هوتور، طبيب عسكري الذي قام باستكشاف نباتات هذا البلد بإحدى أقصى نقاطه على الساحل، ففي الفترة الممتدة من 1834 إلى 1840 استكشف النواحي القريبة من بوجي (بجاية) واصل بعده السيد دوريو دو ميزون ناف، الذي أغنت أبحاثه بين 1842 و1844، علم النباتات بالجزائر لعديد من الاستكشافات، واصل بوجي عمل الدكتور دوتور[3]

وفي شهر جويلية من عام 1858، قام الدكتور بول ماريس السيد أودون ديبو صيدلي عسكري في مصلحة الاسعاف في نور نابليون (الأربعاء ناث ايراثن)، بالتوجه إلى المنطقة الجبلية مجددا عن طريق فج ثيروردة، فزار سهل اث واعبان قبل أن يصل في اليوم التالي

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة وانشر والتوزيع تيزي وزو، 2013، ص 145.

[2] نفسه، ص 48.

[3] المصدر السابق، ص49.

إلى أعلى قمة في جرجرة، قمة لالا خديجة، حيث أكد السيد ديبو في رسالة إلى السيد دوريان ميزون ناف– نتائج الاستكشافات النباتية لهذه المرحلة.[1]

وفي سنة 1862، قام السيد دوراندو المعروف في الأوساط العلمية النباتية الجزائرية، برحلة استكشاف من عدة أيام إلى فور نابليون (الأربعاء نات ايراثن) في هذه الفترة، قام السيد لوتورنو خلال شهري ماي وجوان من عام 1866، بجولة جديدة رفقة الدكتور بول ماريس، وقد استكشفا خلال هذه الفترة التّي انطلق فيها من فور نابليون مرورا بسهل سيباو، كلا من جبل عفرون، تيفريث، غابة أكفادو ابتداء من إقليم أبركان إلى غاية الفج، ثم فجاج فيزي نشريعة، شلاطة، ثيروردة، جرجرة نآث بودرار، لالا خديجة فالصخور العالية الواقعة بأعالي بوعدنان إلى غاية ثابورت بوزقار[2].

إن أهم يضفي أهمية على هذه المنطقة، هي بساتينها فيما يمكن طابعها فيها غناها عندما يرتفع البصر من اعماق الوديان، التّي تقسم البلد نحو القمم يتوقف أولا بأطراف المغث(جنس شجر حرجي) الذي يحيط بالبساتين التّي تقام كل صيف على ضفاف الأودية والجداول وإلى أبعد من هذا، تمتد يد القبائلي عند بداية كل خريف إلى أشجار الدردار لتعريتها من أوراقها التّي يختلط أخضرها الفاتح مع اللون الرمادي لأشجار الزيتون والبلوط الأخضر، وعبرها تظهر وكأنه خلفية لوحة زيتية، أشجار التين بلون أوراقها الضارب إلى الأصفر وكلما ارتفع البصر عاليا تختفي أشجار الزيتون، بينما تبقى أشجار الدردار والبلوط والتين تتسلق التلال الوعرة إلى غاية قممها، وسنرى لاحقا بأن هذه القمم لا تشكل الحد

[1] لمصدر السابق، ص 148.

[2] المصدر نفسه، ص 149.

الأقصى لهذه الأشجار بالنسبة لأشجار الزيتون نادرا ما يصل ارتفاع مواقعها إلى 900 متر[1].

ففي هذه المنطقة فإن المنحدرات أقل وعورة من الثانية، إذ تتواجد بها الهضاب والسهول التّي تشكل فضاءات فسيحة داخل الغابات.

فأشجار الصفصاف والحور والدلب تشكل وحدها الغابة تقريبا، كما نعثر هنا وهناك على سيلتيس أو شراليس، سيراسوس أفيوم، وعلى المرتفعات نجد اليكس أكيفوليوم.

كما نجد في الناحية السفلى من هذه المنطقة حتى وإن كانت تقع في مستوى ارتفاع قمة التلال الساندة، فنباتاتها مختلفة تماما، وتتشابه إلى حد كبير مع نباتات الايدوغ وبني صالح في بون عنابة[2].

تتشكل جرجرة من كتل كاسية منخفضة تنتصب مرة دفعة واحدة على خط واحد ومرة أخرى على خطين أو ثلاثة خطوط متوازية إلى حد ما مركبة من صخور كلسية، بركانية أو شيستية غير أن الهضاب تشكل ارتفاعات كبيرة أحيانا فلا يظهر الأرز إلا بداية من أطراف ثيروردة (أزرونطهور)، بعد هذه النقطة والى غاية لالا خديجة، تتواجد هذه الأشجار بعدد قليل أو كبير على الصخور مشكلة سفوح غالبا ما يكون امتدادها محدودا، ففي هذه الزاوية من الغابة التّي تنازل عنها الرعاة للقردة والخنازير حيث تنزلق الرجل بسهولة على الأرض الزلقة وبقايا الأشجار الميتة من الشيخوخة المتراكمة بهذا المكان الطي لا نمر إلا بمشقة تتواجد بالتأكيد النقطة الأكثر أهمية على الصعيد استكشاف النباتات المتشجرة وتبقى الكثير من الاستكشافات سيتم القيام بها وتلتقي من نباتات القبقب الاسفندان، بهشية ماء الأوراق،

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، الجزء1، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة وانشر والتوزيع تيزي وزو، 2013. ص 155

[2] المصدر نفسه. ص156

غبيراء ارية، غيبراء ممغصة، المضاض، أميلا نشير فولغاريس (شجرة العصافير) كيركوس مير بيكي (بلوط الزان) سيدروس ليباني (لأرز، لبنان)، راموس، ألينوس، (نبق الالب)[1].

حيث ينحدر الأرز في جرجرة إلى مستوى من 1200 إلى 1300 متر ففي سهل اث واعبان الصغير المحاصر بمرتفعات صخرية سميكة تمتد أجزاء منه إلى غاية السهل وسط بساتين من التين التّي ترتفع على بعد 150 متر بحوالي (1400 متر) ففي هذا الحوض يختلط الأرز مع كيركوس بلوطة اليكس، المحمي بالجدران العالية من الصخور الكلسية، الذي ينمو على ارتفاع 1600 متر، مشكلا بكامل الجزء الأسفل من المنحدر النوع المهيمن. لقد قطفنا تحت ظله بوبيونيا أطلنتيكا[2].

بق لنا أن نقول بعض الكلمات عن توزع مختلف الأصناف إذ ما أخذنا في الاعتبار مجمل نباتات القبائل، فالنباتات المركبة تأتي بعيدا في المقدمة (161) تليها القرنية (136) فوحيدات الفلقة (103) وتعود المرتبة الرابعة لذوات الأزهار (67).

فالنباتات المشجرة أو الشبيهة بالشجرة بجرجرة تختلف كلية فالصنوبريات والقوقحات تشكلان الأنواع المهيمنة أما المركبات، ذوات البذرة الواحدة والقرنيات وذوات الفلقتين توفر لنباتات أكبر نسبة فيها، فمناطق الغابات الكبرى من البلوط، لقد سبق أن أشرنا إلبها، إنها بلد أشجار الكؤيس (قمع البلوط). فالقرنيات هي أيضا كثيرة إلى جانب نباتات ذوات الفلقة المنتشرة نسبيا كثيرة[3].

---

[1] المصدر السابق، ص158، ص159.

[2] نفسه ص 168.

النباتات المركبة: نباتات تتركب أجسامها من خلايا متعددة وتمتلك تراكيب وأجزاء رئيسية ممتلئة في الجذر والساق والأوراق وثمار (الصف الرابع ابتدائي ص 36).

النباتات القرنية: هي ذات البنية الطويلة التّي تشبه القرن وهي النباتات اليوغية (المرجع الالكتروني للمعلوماتية)

وحيدات القلقلة: عبارة عن نباتات مزهرة تشبه العشب وكاسيات البذور (المرجع الإلكتروني للمعلوماتية).

[3] أدلوف هانوتو، المصدر نفسه، ص 170.

2-الحيوانات

ليست بلاد القبائل غنية بالثديات الكبرى وبإمكان إدراك ذلك بسهولة فالسهول المكشوفة والتلال السائدة التّي يستغلها السكان المجاورون على امتداداها من الفلاحة لا توفر لها وسائل الحياة ولا المأوى[1].

وليس هناك مكان مهم كان وعدا لم تطأه أقدامهم الرشيقة وقد أضحت هذه الأماكن منذ زمن بعيد خالية من الظبي والغزال والماعز البري (موفولون) الذي سكنها من قبل وإن كان هذا النوع من الحيوانات قد غامرت بعيدا نحو الشمال، ومن المحتمل أن تكون غابات البلوط الكبرى قد غذت فيما مضى قطعا من الإبل التّي كانت في عهد الرومان والإغريق، أما الخنزير لا يزال مجموعات كبيرة منهم تعيش بغاباتها، حيث يتواجد الفهد ويشكل الخنزير له فريسة سهلة ومتوفرة[2].

أما الأسد لا يظهر إلا نادرا بمنطقة القبائل، ولا يغادر أبدا سهل وادي الساحل، لكنه يتسلل أحيانا إلى الغابات وفي بعض الأحيان إلى جرجرة لقد شاهدنا بالقرب من ثابورت بوزقار مغارة قيل أنه لجأ إليها للاحتماء من الثلج. بعد القرد (بينكوس ايتوس) الحيوان الذي يميز منطقة القبائل، يوجد في أخاديد الشيفة بالقبائل الشرقية، لكن لا نجد أبدا رباعية الأيدي هذه بكثرة مثلما هو الحال في قبائل جرجرة، في حين أن آكلات اللحوم والسنوريات الصغيرة هي كثيرة في القبائل حيث تعاني خمم الدجاج أضرار كبيرة بفعل تسلسلات الثعلب والذئب والنمس والقط البري وابن عرس الخ[3].

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص297.

[2] نفسه، ص 298.

[3] نفسه، ص 299.

حاول الكاتب وصف كل الحيوانات السائدة في تلك المنطقة حيث ذكر أن الغابات تمتاز بصمتها وكبريائها وعتمتها لا يشوبها إلا تحليق طارد الشخرور أو الصوت الحاد الكاسر الجوز أو ذاك الذي يحدثه نقار الخشب وهو ينقر بحركات سريعة ومنتظمة جذع شجرة بلوط هرمة[1].

أما فيما يخص الزواحف والأسماك ذكر أن الجرجرة قائمة للزواحف تماثل تلك التّي توجد بالأوراس إذ لا نجد لا الصل ولا الثعبان ذا القرنين ولا تحتفظ مثلما كان الحال بالحصنة، بأي ذكرى عن الأصلة أو التنين البري الذي ينحدر من ثعبان ريغولوس[2].

فالحرباء الشائعة بقرب مستعمرتنا لا تظهر إلا بوادي الساحل، حيث يسود متاع ترتفع من درجة حرارته، رياح جنوبية قاتمة من الصحراء وإلى الحد الان لم يطلعنا أحد عن وجود حية سامة بهذه المنطقة، لم نعثر إلا منذ فترة قصيرة فقط بجرجرة، على علو نحو 1800 متر، على أفعى من نوع فييرا، الشبيهة بأسبيك الموجودة بفرنسا[3].

أما فيما يتعلق بأسماك البحر، فلا تختلف عن بقية أنواع الاسماك بالجزائر حيث تمت الاشارة على أنه يوجد سمك أسفل فج أكفادو حسب المعلومات المقدمة على أنه ينتمي إلى نوع سلار وهي تنطلق وسط غابات البلوط الكبرى، تخرج من أرض بلورية أو تيستية لتصب بوادي الساحل، بوادي بيروسيا وروافدهما إلى حد اليوم لم نعثر سوى على سمكين للمياه العذبة للجزائر.[4]

طابع عالم التراث بالقبائل متوسطي أساسا، مع الاختلاف ببعض الأنواع من شمال أوروبا كما هو الحال في الايدوغ بالشرق، أين نلاحظ عددا كبيرا من الأنواع من سردينيا

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص 300.

[2] نفسه، ص 324.

[3] نفسه، ص 325.

[4] أدولف هانوتو، المصدر نفسه، ص326.

وصقلية وبينما تطغى في الغرب الأنواع الإسبانية إلا أنه لا يوجد منها إلا العدد القليل وهكذا تمثل المناطق المرتفعة بالقبائل في الكتب مجموعة متعددة ولامعة من الحشرات طويلات القرون (سيرامبيكس، بينوبيوس)، بينما الحشرات من فصيلة السرطانيات، التّي تكثر في الخريف والشتاء في بقية أنحاء الجزائر، لا يتوفر منها الا البعض. غير أننا عثرنا على أجزاء من حافظ الأجنحة للحشرات تحت أشجار الأرز بجرجرة، مما يدل على أن هذا الصنف من الحشرات كان يعيش بأعداد وبأحجام كبيرة عند ذوبان الثلوج.[1]

[1] المصدر السابق، ص 331.

المبحث الثالث



العادات والتّقاليد عند المجتمع القبائلي

المبحث الثالث: العادات والتّقاليد عند المجتمع القبائلي

المطلب الأول: الجانب الثقافي

1- اللغة (اللهجة)

يقول هانوتو:

إن اللغة التّي يتحدث بها سكان القبائل هي لهجة من لهجات البربرية وقد اختلطت بها الكثير من كلمات اللغة العربية إلى جانب كلمات بالفرنسية بدأت تختلط بها، ويطلق عليها اسم "ثاقبايليت" القبائلية"[1].

لا يقتصر استعمال هذه اللهجة على منطقة القبائل، كما حددناها، ولكن ايضا بوادي الساحل وكل منطقة الجبلية الواقعة بين بوجي (بجاية) وسطيف، فالقبائلية لا تملك حروفا خاصة بها يمكن أن تعكس أصواتها، ولا تكتب وليس لها أدبا سوى الأناشيد الدينية والشعر الملحون اللذان يتم نقلها شفويا وعندما يقوم " المرابطون"، المتعلمون الوحيد بالبلد، بكتابة عقد أو رسالة فإنهم يستعملون اللغة العربية دائما، وهم عادة ما يلجؤون إلى حروف هذه اللغة كلما أرادوا تدوين كلمات قبائلية[2].

فاللغة التّي تتناقل في مثل هذه الظروف لن يكون بوسعها توفير طابع وحدة متكاملة، كما نجد بمختلف النواحي تباينا يتمثل في اختلافات في النطق وفي الأساليب المفضلة والتعابير المحلية، لكن دون المبالغة في ذلك ما دام كل جار، حتى وإلا يستخدم تلك

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل، تيزي وزو، د ط د س، ج1، ص 524.

[2] المصدر نفسه، ن ص.

العبارات، فهو يعرفها فهذا الاختلاف الذي يبدو لأجنبي كعقبات لا يمكن تجاوزها لا يمنع البربر من التواصل فيما بينهم[1].

وبقليل من الاهتمام يفهم سكان القبائل الشاوية والشانوية وسكان بني مناصر دون مسألة تصنيف اللغة البربرية لم يتوصل إلى حلها علماء فقه اللغة، وإن ما يمكن قوله في ظل الوضع الحالي للعلوم، فإن البربرية إن لم تكن لغة سامية فقد خضعت على الأقل لتأثيراتها المعتبرة[2].

لن نتعرض بالدراسة للغة القبائلية، فهي مسألة خاصة قد تقودنا إلى خارج حدود مجالنا، وعلى المهتمين بالتعمق في دراستها الاستعانة بالكتب المنشورة بخصوص هذا الموضوع[3].

الدارجة أو العامية:

إن القبائل الولوعين بالسفر بامتياز يحتاجون غالبا إلى التواصل فيما بينهم بمنأى عن احتمال فهم أفكارهم من طرف الأجانب الذين يتواجدون وسطهم، هذه الحاجة أو الضرورة أدت إلى خلق عدد من الألفاظ المتفق عليها أو الدارجة، ولكل حرفة لها كلماتها وتعابيرها، ولإعطاء فكرة عن هذه الإبداعات الغريبة، تقدم بعض الألفاظ الرئيسية منها[4]:

[1] المصدر السابق، ص 524.

[2] نفسه، ن. ص.

[3] نفسه، ن. ص.

[4] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج1. تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص525.

جدول (01): شرح بعض المصطلحات (فرنسية–القبائلية–الدارجة)[1]

الفرنسية	القبائلية	الدارجة
رجل	أرقاز	أفوس بوران (باقة من الحلفة)
امرأة	شمطوث	ثينيزيط
كسكسي	سكسو	حميش(اسم خاص بالرجل)
خبز	أغروم	على ناث علي
ماء	أمان	ثيموساي
تين	ثزارت	محند واعمر
لحم طازج	أكسوم أزقزاو	أعراب والسعيد
قديد	ألموم أقوران	أحمد أوملول
قمح	ارذان	لفراشيش (اسم القبيلة)
شعير	ثيمزين	بوجليل (اسم القرية)
سرقة	أكور	اخديم السعدي (عمل السعدي)

جدول (02): شرح بعض المصطلحات (فرنسية–القبائلية–عامية)

فرنسية	**قبائلية**	**عامية**
رجل	أرغاز	أغيو(اسم فهد)
امرأة	شطوث	غزالة
طفل	أقشيش	أبزوش
شيخ	أمغار	أقرمام (المتحرر من الوهم)
الرجل الصادق	أرقار العالي	أزقمي
النذل	أمخير	
رجل عربي	أعراب	أجغلاط (الذي لا يفهم شيئا)
مسيحي	أرومي	أمقسوح (ذو القلب القاسي)

[1] نفسه، ص 527.

يهود	أوذيان	دوادام (الذليلون)
فم	ايمي	الموقب (المنحت)
عين	ثيط	ثعزازت (المنظار)
نقود	اذريمان	امحانيات (الذين يحنون القلب)
كسب نقود	ثزذامت	ثذرميت
مرابطون	امربظات	ايروبا
الموت	الموث	موخي
ذبح	ثيمزلوث	أشنديخ
دار	أخام	أماخون
أكل	اتش	ثيكون

2- الدين

يقول هانوتو:

يعتنق القبائليون دون استثناء الدين الإسلامي وينتمون المذهب المالكي، أي الذين اختاروا مذهب الإمام مالك لتفسير الشريعة وأجزاء من القوانين المدنية التّي تقبلوها[1].

لقد قيل عن القبائل مرارا بأنهم مسلمون يسيئون، يتمسكون قليلا بدينهم وأنهم مستعدون أكثر من غيرهم من المسلمين في الجزائر لتقبل هيمنتها وذهب بعض الأشخاص إلى حد القول بأنهم على استعداد لاعتناق الديانة المسيحية بكل طواعية، فيما راح البعض الآخر، وهم يرون في رغباتهم حقائق قائمة بذاتها، إلى الكتابة عن هذا التحول إلى المسيحية، بأنه

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج1. تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 208، ص212.

قاب قوسين أو أدنى، ويكفي للمبشرين الكاثوليك القدوم حتى يروا هؤلاء مقبلين جماعات للاستمتاع إليهم تحت راية الصليب[1].

قيل أيضا أن القبائل احتفظوا بذكريات عن المسيحية يوم كانت ديانة لأجدادهم، مقدمين على ذلك أمثلة عن الوشوم في شكل صليب بارز على وجوه البعض من النساء، فالسؤال الذي يثيره هذا الادعاء: هل القبائل لم يكونوا أبدا مسيحيين؟ وبإمكاننا الإجابة عن هذا السؤال بالقول أنه في اعتقادنا بأن هذا ممكن ولكن ليس بالشيء المؤكد[2].

نحن نعرف بالفعل أنه خلال فترة غزوات العرب، كانت بعض القبائل وبخاصة في الأوراس تعتنق الديانة اليهودية، وظلت أخرى وثنية دون القبول أبدا بالمسيحية[3].

وعندما نتمعن في الأشكال التّي تزين وتزخرف الأغطية الصوفية والأواني الفخارية وغيرهما من أعمال التطريز على سبيل المثال نلاحظ جملة من الأشكال التّي يمكن أن نعتبرها صليبا في وقت لم يكن فيه الفاعلون بدون شك يفكرون في رسم رموز دينية، ألا ينطبق ذلك على رسامي الوشوم القبائل[4] لم يكن القبائل قبل مجيئنا يشكون في كون أجدادهم كانوا يعتنقون المسيحية: فمعرفتهم بالتّاريخ محدودة، إذ كان البعض صار يردده الآن فأنه كان قد سمعه منا، ولأجل هدف مصلحي يحاولون الاقتراب هنا ساعين إلى كسب أمل لا يطيرهم إطلاقا وهم يمقتونه في أعماقهم لا نجد لدى القبائل كما عند غيرهم من

[1] المصدر السابق، ص 212.

[2] نفسه، ص 531.

[3] انظر ابن خلدون، تر: البارون دواسلان، ن، ج1، ص 208-212.

[4] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج1. تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص 532.

سكان الجزائر أي أثر للقدرية الإسلامية فهذه الخرافة القديمة، التّي تم القبول بها كبديهية مسلم بها دون تحليلها، كانت سببا وراء حدوث الكثير من الأخطاء[1].

3- اللباس والغذاء

3-1. اللباس

مهما كان ارتفاع موقع السكن، وبالرغم من التغيرات الجوية الموسمية، فإن لباس القبائلي يظل على نسق واحد، أي نصف عار، الرجال يرتدون قمصانا قطنية أو من الصوف الخشن (ثجلايت) يضعون فوقها برنسا أو اثنين، ويغطون رؤوسهم بشاشية واحدة أو أكثر منسوجة بالصوف وعادة ما يكون لون الخارجية منها أحمر، بينما تبقى أرجلهم وأيديهم وأعناقهم عارية[2].

فيعتبر الحذاء بمنطقة القبائل ترف، وينتعل الأثرياء البابوش مثل العرب، أما الفقراء فهم عند السفر بعيدا يضعون أقدامهم في قطع رباعية الشكل من جلد الثور يشدونه في مقدمة ومؤخرة القدم بخيط ليظل ثابتا، وفي مواسم الأمطار أو الثلوج ينتعلون القبقاب وهو حذاء خشبي، ويتمثل في نعل بيضوي الشكل ومسطح مزود بمسندين في الأسفل بارتفاع من خمس إلى عشر سنتيمترات.[3]

النساء لا يختلفن في زيهن عن الرجال، إذ يقتصر لباسهن في غالب الأحيان على قطعة كبيرة من الصوف أو القطن، يطوي هذا الثوب على جزئين ثم يلبسن ويربط على اليمين واليسار بواسطة دبابيس مزخرفة (بروش) من الفضة أو الحديد ويحاط بالخصر بحزام من الحرير أو الصوف، وتكون الأيدي خارجة من فتحتين أو كوتين زود هذا الثوب

[1] المصدر السابق، ص 532.

[2] نفسه، ص 557.

[3] نفسه، ص 557، ص558.

عند مستوى الكتفين، والذي تشبه طريقة ارتدائه سترة التماثيل اليونانية، هذا الثوب الضروري لستر العورة ولكنه غير كاف لحماية الجسد من لسعات البرد، يبقى اللباس الوحيد الذي ترتديه النساء عادة[1].

أما في المناسبات كالأعراس والأعياد يضفن بعض القطع من القماش الملون للزينة يعلقن على أكتافهن أو خواصرهن أو يضعنه فوق رؤوسهن على شكل حجاب، فحلاهن تتمثل في بعض المجوهرات الفضية بالنسبة للعائلات الغنية أو التّي طلبت بها فقط أو من النحاس بالنسبة للفقراء وتتمثل في الخلخال (أخلخال) سوار اليدين (أمقياس)، الأقراط (ثيقوظمين) والقلادة (ثقلاط)[2].

عندما يكون اللباس عند رجال ونساء القبائل نظيفا وسويا يبدو للعين ككل منسجم وأصيل لا يخلو من أناقة الذي غالب ما تشوهه التمزقات والأوساخ والوحل، كما أن القبائل عادة ما يلبسون ثيابا إلى حد التآكل دون غسلها ويبقى الأغنياء وحدهم يتفاخرون بارتداء برانيس بيضاء أيام الأعياد أو عند القيام بمساعي وفي المناسبات رسمية[3].

3-2. الغذاء

يشكل الكسكسي عند القبائل كما هو الحال في بلاد العرب، الطبق الرئيسي في غذائهم ويسمى سكسو أو "الطعام" وهو عبارة عن حبيبات من الدقيق يدخل اختصاص من النساء اللواتي يتولون إعداده، ويتم وضعه بعد فتله (إعداده) في آنية من فخار مثقوبة توضع على قدر قصد تعريضه للبخار الصاعد من القدر الذي يحوي المرق خضر أو بقول جافة مع اللحم أحيانا إلى جانب التوابل لتناولهما معا فالناس الأغنياء يأكلون طعام قيرذان"

[1] المصدر السابق، ص 558، ص559.
[2] نفسه، ص 559.
[3] نفسه، ص 559.

المعد من دقيق القمح، بينما يتناول الفقراء "طعام الطمزين" المعد من دقيق الشعير أو من البشنة أو الذرة البيضاء أو من دقيق البلوط للأكثر فقرا.[1]

الخضر الرئيسية الحاضرة بكثرة في التغذية بالقبائل هي: الخرشوف، شوك، الجمال (ثفديوت) المزروع، إلى جانب عدد من الخضر الأخرى كل منها في أوانها والبقول كالبازلاء (جلبان) والفاصوليا (لوبيا) والحمص والعدس والقول بالاضافة إلى البلوط كلو (كيركوس بلوطة). هذه النشويات يتم طبخها في الاء أو تحويلها إلى دقيق لتحضير الكسكسي، كما يقوم القبائل بإعداد أنواع من الخبز أهمها: الكسرة وتمثوتت (خبز الدار) التّي تتولى النساء تحضيرها بعد القيام بعملية عجن الدقيق مع اختلاف في طريقة إعداد الاثنين، بحيث يأخذ "خبز الدار" الذي تضاف إليه خميرة وقتا أطول لكنه يبقى ألذ وأخف من الأول، الذي غالبا ما يتم إعداده بدقيق الشعير[2].

يكثر استهلاك الفواكه التّي تدخل هي الأخرى في النظام الغذائي القبائلي، فالتين بكثرة بمنطقة القبائل حيث تكون التربة مواتية وتشكل بالنسبة للعائلات الفقيرة مصدرا رئيسيا للغذاء خاصة في فصل الشتاء بعد جمعه وتخزينه في مخازن الغلال (إكوفان) كما يشكل التين مع الخبز التقليدي "الكسرة" الزاد الرئيسي للتاجر المتنقل، كما يحصلون في بساتينهم على فواكه أخرى متنوعة كالعنب والتفاح والإجاص والبطيخ والشمام...الخ[3].

كخلاصة، فمن الناحية النوعية فكل المواد الغذائية الداخلة في النظام الغذائي للقبائل تستجيب لشروط النظافة، انه نظام غذائي مزدوج يتكون بالتساوي تقريبا من مواد نباتية وحيوانية والتي تحوي في تركيباتها كل العناصر الضرورية التّي يحتاج اليها جسم الانسان، فمن حيث الكمية يبقى هذا النظام ناقصا جدا بالنسبة للعديد من سكان القبائل، فالأمراض

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص 559.

[2] نفسه، ص 559، ص560.

[3] نفسه، ص 560.

الناتجة عن سوء التغذية والامراض المرتبطة بالبؤس من المحتمل أن تكون منتشرة أكثر مما هو عليه الحال في أحيائنا الشعبية بالمدن[1].

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي

1-الزواج والطلاق

1-1.الزواج:

يذكر الكاتب أن على خلاف القانون الروماني أو الشرع الإسلامي، لا يقبل العرف القبائلي قط بوجود الاستمرار، ولا تقبل التّقاليد أي علاقة جنسية خارج الزواج، غير أن هذه الصرامة في مجال الأخلاق العامة ليست للأسف مؤسسة على مبدأ احترام المرأة، فمكانة هذه الأخيرة في المجتمع القبائلي باهتة وضئيلة، فالزواج بالنسبة لهؤلاء السكان الأشداء ليس اتحادا حميميا بين كائنين تختلط فردية كل واحد منهما في مشاعر متحدة، ولا مؤسسة اجتماعية لكل واحد فيها حقوقه المتناسقة مع واجباته، المرأة القبائلية ليس لها شخصية قانونية، إنها شيء بشري اشترى وتسلم من دون أن يطلب رأيها في معظم الأحيان، وينبغي التجرد فيما يخص دور المرأة القبائلية من كثير من الأخطاء التّي روجتها مفارقات ساطعة صادرة عن كتاب الكبار[2].

فالمهر الذي يشكل في الشرع الإسلامي الشرط الأساسي للزواج والذي جعل منه القانون الروماني مؤسسة سياسية وهو ما يسمى morgengabmog في القبائل الجرمانية

[1] . ادولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، د ط، ج 2 ص 560.

[2] نفسه. ص150.

لا وجود له البتة في الحقيقة في المجتمع القبائلي، ويقوم الأب ببيع ابنته، وفي حالة تعذر ذلك، يحل محله في العملية الأخ أو العم أو أي نسيب من ناحية الأب.[1]

لا يحدد العرف أي سن قانوني لإتمام الزواج ويحق للأب أن يعرض ابنته غير البالغ لملامسات المشتري، لا يحق للابن القاصر الزواج دون موافقة الأب زفي حالة وفاته، دون موافقة من يمثله ولا يحق للأم أن تتدخل إلا في حالة غياب القريب الذكر من جهة الأب، ولا يجوز لليتيم أن يتزوج إلا بموافقة الوصي المعين من طرف تعمامت[2].

بما أن الزواج كان عملية بيع امرأة فإن شرطه الأساسي إذن هو دفع ثمنه يسمى ثعمامث أو ثوشيث هذا الثمن يتمثل دائم في مبلغ مالي.

ويمكن لثعمامث أن تدفع حسب الشروط المتفق عليها، إما دفعة واحدة، قبل إتمام الزواج، أو في أقساط تدفع في أوقات محددة وعملية دفع ثعمامث وتسليم المرأة من طرف عائلتها إلى الزوج ثمنها غرامات مالية في أغلب القبائل، ويمكن أن يعد الامتناع عن الدفع سببا قانونيا للطلاق[3].

لا يوجد مبلغ معين يحدد الرقم المالي لثعمامث وللوالد كل الحق في أن يزايد بشأن جمال ابنته ومهاراتها المنزلية، غير أن بعض القبائل خاصة المقيم منها في السفح الجنوبي من جرجرة، رأت أنه من الضروري وضع حد لجشع الوالدين، متخذة بهذا الشأن إجراءات تضبط الحد الأقصى للنفقات يؤذي تجارتها إلى المصادرة وحتى إلى غرامة[4].

- **الزواج الداخلي بين الأنساب وضمن الجماعة والانتماء الواحد**

[1] المصدر السابق، ص 151.

[2] نفسه، ص151.

[3] نفسه، ص154.

[4] ادولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الأمل الطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، د ط، ج 2 ص 155.

يقول medhar

تتسم العائلة العربية والعائلة القبائلية بالنزوح نحو الزواج الداخلي أو ضمن الانتماء الواحد بدءا من العائلة والقبيلة ومرورا بالحي والقرية والجماعة العرقية والطائفة وانتهاء بالأمة، ويتم الزواج الداخلي بكونه نظاما باختيار الزوج من قبل الأهل باعتبارها مسألة عائلية بالدرجة الأولى.

Une loi mon écrit accorde à l'homme un choit sur la main de sa bint a àmm et personne n'est autorisé à se manier avec elle à moins que son ibn aàmm c'est-à-dire le fils du frère ne donne son conentement.[1]

وقد جرى العرف ضمن الجماعات التقليدية على أن الزواج من ابنة العم والأنساب هو الزواج المفضل، حيث أنه أصبح حقا من حقوق ابن العام في بعض الأوساط التقليدية، ومن مظاهر المبالغة المعروفة في هذا النزوح أن بعض الأهل الخاضعين للمرجعية التقليدية ينذرون بناتهم للزواج من أشخاص معنيين حتى عند الولادة، حتى أن الزوجة تلقب بنت العم"[2].

إن المجتمع المغاربي بما فيه المجتمع القبائلي وبالأخص الذين ينتمون إلى طبقة الأشراف المرابطين تجبر وتمنع الفرد من الزواج خارج عائلته من الانحدار الأبوي، حتى اعتبرت هذه الظاهرة كعنصرية عائلية وذلك حفاظا على عدم اختلاط الدم. ولقد تم تفسير هذه الظاهرة، هو استمرار الزواج القرابي في ضوء عوامل منها ضرورة المحافظة على

[1] Medhar.slimane :tradition ontre développement ed e.n.a.p ; alger 1992/p 36.

[2] Medhar slimane,op-cite, p37.

الأملاك والثروة ضمن العائلة وتقوية وتعزيز الوحدة الأسرية وترابطها وتوثيق العلاقات فيما بينها.

Pour l'une comme pour l'autre ; le mariage avec la cousine parallèle ne peut d'expliquer par la seule structure de la parenté et qu'il est nécessaire pour en rendre compte d'évoquer d'autres déterminants tels que les règles de la transmission des titres et des laiens[1]

1-2. الطلاق (أفرو-نا- طمطوث)

يذكر هانوتو أن العرف هو الاشد قسوة من بين كل التشريعات التّي أعطت الرجل حقا أعلى من حق المرأة، حق الطلاق حكر على الرجل وحده، وذلك بدون جد وبدون سبب، من غير أن يأتي حقها في الحصول على الطلاق لاحداث توازن، وهذا الأمر نتيجة طبيعية لطبيعة الزواج عند القبائليين فهذا الأخير ليس اتحادا مع الرجل، إنما شراء من طرفه[2]. ويوجد في بلاد القبائل نوعان من التطليق أفرو ن – تكوري (تطليق مع تحديدي السعر) وقدوه – أميلا- ثكوري (تطليق بدون تحديد السعر) في أفرو – نا-ثكوري، يطلق الرجل زوجته وهو يعلن الصيغة التالية: " أطلقك وأجعل رأسك بالمبلغ الفلاني" وتقال الصيغة مرة مرتين أو ثلاث ويسمح " أفرو-فا-ثكوري" للمرأة بالزواج مجددا إذ ما أرادت ذلك مقابل دفع المبلغ المحدد، بغض النظر عن الشخص الذي يقوم بدفع المبلغ، ويكون الزوج مقيدا ببعض

[1] Liorel jules races berbéres ; kabyeles fu fjudhura-ed – ernest leraux : paris 1992 ; p 107.

[2] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: ابراهيم معدي، الجزء2، دار الأمل، تيزي وزو، 2013، ص 178.

الشروط في هذه الصفقة: يمكن أن يقبل سعر استرجاع أقل من الذي حدده هو نفسه لكن لا يمكن أن يطالب السعر أعلى منه.[1]

ولا يقبل الرأي العام أن يسترجع الزوج المرأة المطلقة التّي طلقها على هذا النحو، أما إذا لم يكن قد نطق بصيغة التطليق سوى مرة واحدة، فيمكن أن يكون هناك اصل للرجل في أن يجد مرابطيا يحظى بالتقدير يقبل بأن يزكي زواجهما من جديد وفي هذه الحالة يتعين على الرجل أن يدفع مهدا جديدا للمرأة وأن يحصل على موافقة الأب الذي يمكنه أيضا أن يشترط مبلغا إضافي لثعمامث، أما إذا نطق ثلاث مرات صيغة التطليق الفادحة تلك فلن يجد مهما كان الثمن، مرابطيا يقبل بتزكية ذلك الزواج ولا شهودا لحضوره أما " افرو– أمبلا ثكوري–" فهو يقوم على صيغة بسيطة: "أن أطلقك(أفريفام) التّي يمكن أن تتكرر ثلاث ملات. وتبقى المرأة في هذه الحالة تحت سلطة زوجها الذي يبقى حرا في قبول أسعار الاسترجاع أو يرفض تحديد أي سعر وتسمى المرأة في هذه الحالة أيضا ثمعوثت[2].

يتبع الطلاق في الأعراف والتّقاليد في منطقة القبائل رد المهر بغض النظر عما إذا كان الزوج هو الذي طلق زوجته أم أن أولياء الزوجة هم الذينّ أنهوا الزواج، بل إن رد المهر هو الشرط الذي لابد منه لانحلال الزواج، فعدم استرجاعه يبقى الزوجة في عصمة الزوج[3].

ومن الواضح أن الشرع الإسلامي يتبنى في هذا الخصوص موقفا جد مختلف عن التّقاليد القبلية، فالطلاق في الشرع الإسلامي شروط خاصة في حال عدم تفاهم الطرفين، فهنا يستوجب على الرجل إنهاء الزواج بتسريح الزوجة بالتراضي حتى لا يخلق عداوة بينهما

[1] المصدر السابق، ص 179.

[2] نفسه ، ص 180.

[3] حمداني مالية، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية دراسة ميدانية في مدينة ذراع بن خدة وقرية ترتمين رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع، 2009/2010، ص 72.

بفعل وجود أولاد يربطونهما فلا يوجد ما يوجب استرجاع المهر. فالرجل إذا طلق زوجته قبل الدخول حق المطالبة بنصف المهر أما إذا كان العكس فلا يجوز ذلك. فالمهر يبقى من حق الزوجة[1].

كما أن رد المهر ما زال محتفظا به خاصة إذا انتسب الخطأ إلى الزوجة وبالتالي تفقد حقها حتى في النفقة، كما أن طلب المرأة الطلاق قليل جدا في منطقة القبائل ومستبعد كثيرا بفضل العائلة التّي تعمل على تكثيف العلاقات فيما بينهما، وعند وقوع مشاكل تسارع كل الأطراف إلى الصلح، خاصة أن المرأة المطلقة سابقا أو حاضرا تحضى بمركز اجتماعي متدن وهذا بغض النظر على كل الأسباب[2].

2- الميراث

ذكر الكاتب أن القبائليون ظلوا يعملون لمدة طويلة بالشرع الإسلامي فيما يخص الميراث فكان يحق للمرأة الحصول على نصيبها وفق النسبة التّي حددها القرآن، إلا أن هذا الاحترام الحرفي للقانون لم يكن غير ظاهري، ذلك أن الذهنية القبائلية ظلت تأبى أن تمتلك المرأة هذه الأرض التّي لا تستطيع زراعتها ولا الدفاع عنها.[3]

كما قال أن القبائليين اجتمعوا قبل حوالي مائة عام وقرروا بأنه لن يكون للمرأة نصيب في وراثة الذكور، يعني لن يكون لها حق في ملكية الأرض. كما كان الأمر في العهود الاولى للبشرية، غرس القبائليون في أعلى الجبل حجارة، تخليدا لذكرى انتصار الذهنية القبائلية على الشرع الإسلامي[4].

[1] المرجع السابق، ص 72، ص73.

[2] نفسه، ص 73.

[3] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص 187.

[4] نفسه.

لقد قام الزواوة من القديم على المحافظة على التعاليم والأحكام الإسلامية فيما يتعلق بالوراثة حسب الفروض المشروعة في القرآن الكريم والسنة النبوية[1] للذكر مثل حظ الانثيين[2]، حيث أعطى الإسلام أهمية بالغة للميراث وأولى عناية كبيرة لتحليل قواعده من خلال تفاصيله بشكل مفصل وقد يكاد أن يكون شاملا وهذا لكي يتسنى لكل إنسان مسلم إدراكه حتى لا تحدث مشاكل وخلافات بين العائلة حيث تقسم الشركة.

وقد كانت للمرأة القبائلية وجهة نظر منذ فترة طويلة تقوم على أساس الروابط الأسرية أحسن من أمور أخرى مثلا أخذ ميراثها ولم تعرف وقتها أنه حقها منحها الله إياه لكن سيأخذ منها ونظرا للتمجيد الذي عاشته الذكر باعتباره هو من يضمن لها ويوفر العناية والاطمئنان في الوقت الذي نحتاجه فقد دخلت في رأسها أن عند زواجها تكون غريبة هي وزوجها عن العائلة، فلهذا لم تستطع المرأة القبائلية الوقوف ضد هذا القرار بل بقيت صامتة عدة قرون، والأثر من هذا أن طلب المرأة للميراث يعتبر أكبر عار وهذا ما كانت تدعمه الأمهات القبائليات[3].

لقد ورد موقف الورثيلاني المعارض للفتوى التّي جاءت بعدم توريث المرأة في كتابة الرحلة الورثيلانية حيث ذكر أبو يعلي الزواوي ظاهرة حرمان الإناث من الميراث ضمن العادات التّي تقف ضد الشرع، حيث قال: ومنها عدم توريث قبائل تيزي وزو النساء بخلاف قسم بجاية، وسبب عدم التوريث في القسم الاول أنه على ما حدثني والدي رحمة الله أوائل القرن السابع وهلك فيه الكثير من العلماء فاتفقوا على أن يتولى العاصب إرث المخلف ويلتزم بالقيام بحقوق النساء وحمايتهن والنفقة عليهن[4].

---

[1] أبو يعلي الزواوي، المصدر السابق، ص 60.

[2] سورة النساء واياتها 11/10*9/8/7/6 مصحف براوية ورش عن الامام نافع نسخة إدارة الشؤون الدينية (مهداة) 1984

[3] حمداني مالية، المرجع السابق، ص 69.

[4] أبو يعلي، المصدر السابق، ص 65.

فالأعراف والعادات في منطقة القبائل لا تعترف بحق المرأة في الميراث فيكون الانتفاع بالتركة خاصا بفئة الذكور دون الإناث، وأن المرأة لا تتجرأ على طلب حقها حتى وإن كانت تعيش ظروف اجتماعية قاسية، لأن تربيتها لا تسمح لها بذلك فأسرتها وبالخصوص إخوتها يبقون أسمى الأشخاص لديها، وهذا ما أملته عليها التنشئة الإجتماعية، حيث بينت لنا معاهدة 1748، بشكل دقيق كيف منعت المرأة من الميراث حين تعهد شيوخ القبائل على لائحة تنص بعدم منح المرأة حقها في الأرض بالمقابل يضمن لها حق التكفل بها عند الحاجة[1]. إن تبرير هذا القرار الذي هو حرمان المرأة من الميراث خاصة أنه في التعاليم الدين، جاء كرغبة الأهالي في عدم تشتيت حركة العائلة بدخول الأغراب إلى الملكية الجماعية خاصة عندما يتعلق الأمر بالأرض، حيث أن توريث المرأة يؤدي إلى إصفاف الجماعة لصالح جماعة أخرى.

3- التعليم والطب

3-1. التعليم

يقول هانوتو أنه لا يوجد قبائلي يعرف القراءة والاستثناءات هي من القلة بحيث أنه يمكن الاستهانة بها فالمرابطين وحدهم، وبإعداد قليلة يقبلون على التعليم والنساء جاهلات تماما كيفما كان انتماؤهن الطبقي، صحيح أنه يمكن الإشارة إلى بعض المرابطين الذين علموا بناتهم القراءة، إلا أن الأمر بقي محصورا في حالات معزولة، فهم حريصون على أن تكون مدارس بلدهم ذائعة الصيت ومزدهرة فذلك يدخل في إطار العبادة من وجهة نظرهم إلى جانب أنه يدغدغ كبرياءهم القبلي والمواد المدروسة في هذه المدارس تتمثل مواد التعليم

[1] حسن الساعاتي، علم الاجتماع القانوني، ص 36.

الإسلامي، وكل المواد تتم باللغة العربية وطبقا للمنهج للإسلامي، أما اللغة القبائلية فهي محتقرة ومقصية من البرنامج التعليمي[1]".

وتنقسم مؤسسات التعليم العمومي إلى مدارس التعليم الابتدائي وإلى مدارس التعليم الثانوي، والى جانب التعليم العمومي توجد بعض المدارس الخاصة التّي يشرف عليها مرابطيون تدفع بهم الحمية الدينية إلى التكفل باستقبال عدد من النشء وبإيوائهم وإطعامهم وتعليمهم ولا يتميز التعليم بأية خصوصية[2].

مدارس التعليم الابتدائي: حيث يكون عدد أطفال المرابطين كافيا بقدر يسمح بفتح مدرسة، تختار ثجماعث القرية المعنية معلما يتمثل عادة في إمام الجامع وتدرس فيها أبجديات القراءة والكتابة العربيتين، وذلك على ضوء المنهج المتبع في كل البلدان الإسلامية، وهكذا يحفظ الأطفال عن ظهر قلب بعض السور القرآنية وعند هذا الحد يتوقف التعليم الذي نسميها ابتدائي والقرية هي من تدفع راتب المعلم، أما المرابطيون، أي المستفيدون الوحيدون من التعليم، فهم لا يساهمون في هذا الاتفاق

وحيث يكون الطفل قد بدأ حفظ بعض السور القرآنية، تقوم عائلته بتحضير وجبة للمعلم وللمدرسة كلها، وتقدم هدية جديدة للمعلم إلى جانب ذلك[3].

مدارس التعليم الثانوي: ينتقل التلميذ الذي يريد مواصلة تعليمه، بعدما يكون قد أتم كل التعليم الذي تقدمه مدرسة مدرسة الجامع إلى مدرسة التعليم الثانوي ويسمى هذا النوع من المؤسسة يتمعمرث thimàmart وهي الصيغة القبائلية للكلمة العربية معمرة ويوجد نوعان من المعامر: تلك التّي يرتكز فيها التعليم الأساسي على القرآن، وتسمى يتمعمرث القرآن أي

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص 108.

[2] نفسه، ص 107، ص109.

[3] نفسه، ص 110.

معمرة القرآن" تلك التّي يرتكز فيها التعليم على دراسة القانون، وتحمل اسم يتمعمرث نشريعة " معمرة الشريعة".

والمواد المدرسة في معمرة القرآن هي: القرآن وتفاسيره – الروايات أو القراءات المقبولة للقرآن والمعمرات القرآنية الأساسية في منطقة القبائل هي: ودريس وسيدي عبد الرحمان عند أهل إيلولان أو مالو ويتضمن برنامج معمرة الشريعة المواد الدراسية التالية: مؤلف الفقه لسيدي خليل الذي يمثل المرجع في الفقه المالكي الذي يتبعه تقريبا كل سكان الجزائر[1].

ما تغير في المؤسسات القبائلية بعد الغزو: ذكر الكاتب أنه تجنب التطرق إلى التغيرات التّي طرأت، مرجعين ذلك إلى مناسبة لاحقة حيث قال: أنه وجد قائدتين في هذه الطريقة: عرض حالة المجتمع القبائلي كما كان موجودا قبل وصولنا، دون استطرادات كان من شأنها أن تؤثر على وضوح العرض، ثم إبراز التغيرات التّي وقعت وجمعها في شبكة واحدة. وكانت أبرز التغيرات التّي حدثت، تتعلق بمؤسسة تجماعث السلطة الحاكمة والوحيدة في النظام الاجتماعي القبائلي، فبما أن استقلالية القرية كجسم سياسي لم تعد قائمة، فإنه لم يعد هناك ما يبرر بقاء سلطة تجماعث السياسية وبالرغم من أن سلطاتها الإدارية بقيت على حالها مبدئيا إلى أنها أصبحت واقعة تحت رقابة إدارتنا[2].

لقد كان التلاميذ ينقسمون إلى طبقات وذلك حسب طاقات الإنسان من الاستعداد، والإدراك في أي قسم، أما تعليم الأولاد من ناحية السن يتلقى من سنة إلى غاية اثني عشر سنة، قراءة القرآن والإملاء والكتابة على الألواح من خشب أو معدن القصدير للعناية بالحفظ وصناعته لأنه يمثل المعراج والسلم لأدب واللغة العربية، وقد تنوعت وتعددت الزوايا في منطقة القبائل وقد توصف جلها بالعملية وهي زوايا المشايخ، حيث تعتبر هذه الزاوية كملكية

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص 110-11.

[2] المصدر نفسه، ص 134-135

معمرة : من الفعل عمر عبادة الله بالصيام والصلاة، المصدر نفسه،ن ص.

خاصة لشيخ فقيه يتصرف بها كما يشاء وقد يكون أحيانا صاحب طريقة وزوايا المرابطين التّي تكون ملكية الجميع أما زاوية الطلبة مثل زاوية عبد الرحمان البلولي التّي تتواجد في عرش ايلولة دائرة عزازقة بتيزي وزو، وقد تأسست في سنة 1636 حيث تتمتع بالاستقلال التام في تسيير شؤون المؤسسة[1].

تعتبر الزوايا من أكثر المؤسسات التعليمية والتربوية في الجزائر وقد عرفها الزواوي بأنها تعني المدارس والمساجد قديما وحديثا وللزاوية أهمية بالغة وذلك لما تقدمه من إيواء للطلبة والعلماء، وهذا ما يجعلها تصبح كمدرسة عليا، إضافة إلى ذلك أنه يجب على الطالب بعد أن يقضي الفترة المحددة له في الزاوية وحصوله على التعليم الكافي، وعند اتمام المدة المعنية هنا يحصل على وظيفة في الزاوية هنا يستطيع أن يرسل في بعثات علمية وذلك على حساب الزاوية إلى المعاهد الكبيرة مثل قسنطينة أو الزيتونة[2].

وقد كتب أبي يعلي الزواوي سقاط في البصائر بعنوان "الأمية في أمتنا الجزائرية" تكلم عن التغيير الذي دخل على التعليم وذلك بعد إنشاء المدارس الفرنسية قال فيه "بعد ثورة 1871 استولت على جميع الوطن جبرا وقهرا فتمكنت الحكومة الفرنسية في البادية". وقد قامت الحكومة الفرنسية بإنشاء المدارس الفرنسية وأجبرت الناس لأن يبعثوا أولادهم إليها وأقرت تهميش اللغة العربية. ووضعت مكانها اللغة الفرنسية ومن يخالف القوانين فإنه يتعرض لعقوبات[3].

[1] طيب جاب الله ، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع القبائلي، مجلة معرفة علمية محكمة، العدد 14،2013، جامعة آكلي محند أولحاج ،البويرة، ص 141.

[2] باعزيز بن عمر، الزوايا بالزواوة، الشهاب، ج2، الجزائر، 1924/1319.، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص 18-23.

[3] أبي يعلي الزواوي، الامية في أمتنا الجزائرية وقلة القراءة، البصائر، ج2، الجزائر، 1948، ص 5.

3-2. الأمراض والطب

استعرض الكاتب الأمراض في منطقة القبائل حسب تكررها وأهم تلك التّي تصيب القبائليين حيث قدم المرض والعلاج الذي يمارسه القبائليون[1].

- **الحمى المتقطعة:** فالقبائل يسمون الحمى المتقطعة "ثولا" (بتسكين الواو) فالكلمة تعبر بالنسبة إليهم عن طابع الشامل للمرض، أما بخصوص الأنواع الأخرى، فيسمونها ثولا أنكولاس (الحمى اليومية)، ثاولاث مثاليث (الحمى الثلاثية)، ثولا مقرانث (الحمى الكبيرة) فالحمى المتقطعة لا تنتشر بنفس الحدة والتأثير عبر كل مناطق القبائل: فعدد الذين يصابون بها في النواحي الساحلية والتلال السائدة أقل مما عليه في السهول والوديان، الذين يعيشون بالسهول السفلى بالقرب من المستنقعات المتاخمة لوادي سيباو وكلما تقدمنا إلى مرتفعات جرجرة نجد أهلها أكثر صلابة وقوة، وأجسادهم أكثر صحة من أمثالهم في المناطق المنخفضة[2].

أما هناك أيضا أسباب أخرى قد تساعد على تطور هذه الحمى أو جعلها تتكرر في المواقع الاكثر ارتفاعا بمنطقة القبائل والأكثر بعدا عن المستنقعات التّي تشكل مصادر طبيعية للمرض، ومن بين هذه الأسباب انعدام النظافة بالبيوت وانتشار الاوساخ بالقرى، فالسكنات معروفة يكفي التذكير بأن البشر يتقاسمون مع حيواناتهم فضاء ضيقا حيث يتراكم الروث ويتعفن.[3]

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: عبد الحميد مخلوف، ج1، دار الأمل، 2013، ص 546.
[2] نفسه، ص 565.
[3] نفسه، ص 566.

فالعلاج الشعبي للحمى المتقطعة في منطقة القبائل هو نبتة القنطريون التّي تنمو بكثرة والمعروفة باسم " قليلو" فالأطراف العليا لهذه النبتة يتم مزجها بأزهار الدفلة قصد تحضير نقيع مركز يتناوله المريض لبضعة أيام، إذا كان هذا العلاج غير كاف، يتم اللجوء إلى كبريتات " كينينيا المتوفرة عند كل الأطباء من الأهالي التّي يحصلون عليها من الجزائر، فهذه الكبريتات تباع غالبا في كل الأسواق في شكل غبرة أو حبات صغيرة[1].

- **الجدري:** يجتاح هذا المرض منطقة القبائل دوريا تقريبا كل عام، فالتلقيح التقليدي الذي يجري بخصوص هذا الداء بشكل واسع يساعد بالتأكيد على انتشاره، يتم هذا التلقيح عند القبائل بإجراء شق أو جرح عميق بواسطة سكين بين الإبهام والسبابة، فالندب الذي ينتج عنه يتم إخفاؤه بواسطة الوشم، تتوقف طريقة علاج الجدري التّي اعتمدها أهالي منطقة القبائل علىّ أعراضه أو إصاباته أثناء المرض، ففي بداية ظهوره يستخدمون المعرق الذي يسقون به المريض بكثرة وهو مستخلص مطبوخ من التين والعنب الجافين معطران بالنعناع أو المريمية، وحينما يطرح الجلد تماما يقدمون المشروبات الحامضة كالماء المخلل وعصير الليمون والبرتقال، أما عن النظام الغذائي فهم ينصحون بعدم تناول اللحوم السوداء.(اللحوم السوداء غير الحمراء)[2].
- **التهاب العينين:** تثير أمراض العيون يتكررها انتباه الأوروبي الذي يطوف بمنطقة القبائل يكفي المرور ببعض القرى أو القيام بزيارة سوق لمشاهدة هذا العدد الكبير من اليائسين المصابين بالعمى، أو بتشوه الجفون أو تقيح العينين[3]، أما الحالة الحبيبية لالتهاب العينين التّي تصيب القبائل بصورة مزمنة فتتمثل في غالب

[1] المصدر السابق، ص 568.

[2] نفسه، ص 568.

[3] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: عبد الحميد مخلوف، ج1، دار الأمل، 2013،ص569.

الأحيان في إفرازات سموم كلما وقع الضوء على العين، والقيح الذي يتجمع عند أطراف الجفون أو بالزاوية الكبرى للعين مصحوب باحمرار الجفون[1].

فالوسائل العلاجية التّي يستعملها القبائليون ضد الالتهاب المتقيح قليلة، فعادة ما يلجؤون في حالات الالتهاب الحاد في بدايته، على سبيل الاستبدال، إلى كبريات النحاس إما شكل غبرة أو حالتها الصلبة، كما يستعمل الأطباء القبائليون عادة ضد النسيج الجيبي أو الليفي الوعائي في القرينة (إثران أو نجوم) الذي يستخلف الالتهابات الحادة، غسيل العين باستعمال الألوة المر(صبارة) مع خلات النحاس (أزنجار)، لكن هذا العلاج يقتصر استعماله على الحالات التّي تكون فيها العمامة على القرينة وغير مصحوبة بالالتهاب[2].

- **أمراض الجلد العادية والطفيلية:** أشار الكاتب أن انعدام النظافة الفردية لدى القبائليين يعرضهم بدون شك إلى العديد من الأمراض الجلدية، ومن بين الأمراض الملحوظة وسطهم في الحالات العادية، خارج الأمراض المميزة كالزهري أو تورمات التهابية سلبية المنشأ، إما القوباء (قشرة الجلد) أو طفحات جلدية عرضية، التّي تعود أسبابها في معظم الحالات إلى تهيجات الجلد الآلية بسبب غياب النظافة أو تنجر عن تهاون أو سوء علاج جروح.[3]

ومن بين الأمراض الجلدية التّي تستخلف الجروح المهيجة أو تلك التّي ظلت مدة طويلة سيئة التكميد، نذكر منها الجدرة أو النمو المفرط للندبة إضافة إلى أنه يتم علاج من طرف القبائل يقصون شعر المصاب إلى حد الجلد ثم يتم غسل الرأس عدة مرات بالماء والصابون أو بالماء المالح بهدف إزالة القشرة عنه ثم يدهن بمرهم عبارة عن مستحضر من الزبدة والزيت القديمين والقطران والحنة وكلور الأمونياك فكبريتات النحاس مع جزء من

[1] المصدر السابق، ص 571.

[2] نفسه، ص 575.

[3] نفسه، ص 576.

الأقيون، بعد أربع وعشرون ساعة من استعمال هذا المزيج يقم غسل الرأس من جديد بالصابون ثم يعاد طلي الرأس بالخليط المستحضر وهكذا إلى غاية الشفاء، ويحتاج هذا العلاج إلى أسبوع كامل إذا كان المرض حديثا، أما إذا كان قديما فيحتاج إلى خمسة عشر يوما[1].

المطلب الثالث: الجانب الاقتصادي

1-الزراعة:

يقول هانوتو: تحتل الفلاحة لدى القبائل مكانة خاصة، فهم يفضلون عمل الأرض ويعتبرونه شرفا لهم، إذ كانت بعض القبائل تهجر أراضيها أو تمارس التجارة بديلا عنها فلأنها جدبة لا تستطيع توفير الغذاء لها، فكل ما يتعلق بخدمة الأرض أو يساعد على تحسينها يشكل موضوع احترام الجميع، فالتّقاليد والعادات وحتى بعض الأحكام المسبقة تحميها وتشجعها[2].

يعتبر اليوم الأول في موسم الحرث يوم عرس عام، يقوم سكان القرية بذبح ثور(ثيمشرط)[3]. وكل بيت يقدم حسب إمكانياته، كسكسا أو خبزا بكميات كافية لإطعام الفقراء من أهلها هذا اليوم، كما يقدم كل مالك أرض لعائلات عمالهم خبزا وفطائر، وبعد ثلاثة أيام من هذا السخاء يضيف لعائلة كل واحد منهم طبقا من الكسكسي الغليظ (بركوكس)[4].

[1] أدولف هانوتو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج1 أثر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013، ص578.

[2] نفسه، ص604.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص605.

يمارس القبائل مع بداية هذا الموسم طقوس مشابهة لتلك التّي تمارسها الكثير من الشعوب في بلدان أخرى حتى المتحضرة منها معلنة عن احتفالية هذا الموسم، من بين هذه الطقوس القيام عند الصباح بدفن أربع بيضات، أربع رمانات وأربع جوزات عن كل زوج من الثيران مع تركها طيلة النهار تحت الأرض إلى غاية المساء لتتحول إلى غنيمة لأطفال القرية[1] .

1-1.الزراعة في الجبال:

إن الأراضي الجبلية المتشكلة من الشيست والحث، أخف كثيرا وأقل نفاذية للمياه مما هو عليها تلك الواقعة في السهول، فالحرث يبدأ بها مبكرا، مباشرة بعد الأمطار الخريفية الأولى، وعادة ما ينتهي قبل أن يبدأ الفلاحون الحرث بالسهول. ولدى القرويين أسبابا وجيهة لإنهائها عاجلا، فهم بسرعتهم يتمكنون من تغذية ثيرانهم بأوراق الدردار وكروم التين قبل أن تتساقط منها في فصل الخريف، ثم بيعها فيما بعد لسكان السهول، كما أن البذور التّي تزرع مبكرا تخرج من الأرض قبل تساقط الثلوج[2].

1-2.الفلاحة في السهول :

إن خدمة الأراضي المنخفضة أو السهول تتم بواسطة المحراث وليس بالمعول، هناك موسمان فقط للحرث، الأول يدعى أمنزو (الأول)، يبدأ مع موسم الأمطار وينتهي في يناير، ويقصر في بعض الأحيان، والثاني الذي يسمى أقليب (المتأخر)، يبدأ في نهاية يناير وينتهي في منتصف مارس، هناك في الحقيقة موسم ثالث في الربيع، لكن القبائل غالبا ما يعتبرون زراعات هذا الموسم ثانوية.[3]

[1] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص605.

[2] نفسه، ص 608.

[3] نفسه، ص611.

وقد عرفت منطقة القبائل أنواعا من الخضر كالبطاطا والفلفل والقرعة[1]، واللفت والدلاع والبطيخ والفقوس والكرافس والتبغ[2] والفلفل الأحمر والبنجر والخرشف[3].

إضافة إلى ذلك كان انشغالهم الأكبر منصب ومركز على زراعة أخرى محصولها أوفر ألا وهيا الحبوب الجافة· والتي تعتبر مصدر إلهام في حياة المنطقة سواء غذاء لهم وذلك من خلال صنعهم منه الكسكس الذي يعتبر مادة أساسية في غذائهم، ومع ذلك توجد زراعة أخرى مهمة لدى سكان المنطقة والتي تتمثل في زراعة الأشجار المثمرة المتمثلة في التين والزيتون[4] .

تنتشر أشجار الزيتون في منطقة القبائل بنسب تعادل الأشجار الحرشية أو الغابية بمعنى أنها تنمو تلقائيا في الأماكن المنخفضة، بالانحدارات، تحت الجبال والتلال وعلى سفوحها إلى غاية علو من 800 إلى 850 متر الذي لا تتجاوزه أبدا، فالمناطق التّي تلاءم الزيتون بشكل أفضل هي الواقعة منها بالجهات الجنوبية ذات التربة الجافة الخفيفة والحجرية قليلا[5]. حتى وإن كان الزيتون يكتسي أهمية خاصة عندهم، إلا أن القبائليين لا يعتنون به كثيرا، فهم لا يسقونه مثلما تفعل القبائل وادي الساحل، ويقتصر حرث الأشجار في أواخر مارس أو مع بداية أفريل على الأماكن السهلة، مثلما تتعرض هذه الأشجار عند جني ثمارها إلى تشذيب رديء، وتبقى هذه الأعمال الوحيدة التّي يرونها ضرورية للاعتناء بها[6].

---

[1] فلة المولود القشاعي موساوي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا، أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث مكمل لنيل شهادة ديبلوم الدراسات المعمقة في التّاريخ الحديث، 1983م، ص151.

[2] يحي بوعزيز، الحالة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري القرن التاسع عبر مجلة الثقافة والسياقة (ث، و، ن، ت) الجزائر، عدد مارس أفريل 1984، ص 164.

[3] أ ندرمي برنيات وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي وآخرون الجزائر، 1984، ص188 .

[4]- Doumas (m) et Fabar (m) p25.

[5] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص626.

[6]- نفسه، ص 627.

فعملية جني محصول الزيتون التّي تتم بواسطة عصا طويلة، مثلما هو الحال في فرنسا بالنسبة للجوز، فثمار الزيتون صغيرة لكن زيتها يمتاز بجودته العالية[1]، فكانت تصب عليهم مختلف أنواع الزيتون مثل: الحامضي أو المركز أو الزيت ذو اللون الأصفر الذي يعتبر من أجود وأحسن أنواع الزيتون[2].

.الملاحظ أن الزيتون في منطقة الزواوة يمثل جزء من تراثهم وعاداتهم فبمجرد أن يدرك السكان أن حبات الزيتون أسود لونها هنا تبدأ عملية جمعه، حيث يلتقط من طرف سكان القرى المختلفة في وقت واحد.

إذا كان الزيتون يعاني من بعض التهاون في الاعتناء به فإن التين في المقابل يعرف اهتماما وعناية مستمرة، يتواجد التين في كل منطقة القبائل وعلى ارتفاعات تصل إلى 1100 و1200 متر ويملك القبائل ثمانية وعشرين صنفا من التين، باستثناء المسمى "الدوكار" الموجه لتأبير الكروم[3].

وقد لاحظ في هذا الصدد حمدان بن عثمان خوجة حيث قال: إن القبائل يأكلون التين المجفف حتى ولو كانت لديهم فواكه أخرى بل وقد ذكر كذلك بأنهم بالغوا في ذلك إلى درجة أنهم لا يعرفون طعم الفواكه الأخرى[4].

مادامت هذه الأنواع لم يتم تحديدها أو ترتيبها علميا في اعتقادنا بعد سنقتصر في ذكرها على أسمائها بالقبائلية، والتي تختلف أحيانا من منطقة إلى أخرى وهي:

---

[1] المصدر السابق، ص 627.

[2] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة ما بين (1792-1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص165.

[3] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص628.

[4] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص165.

بالنسبة لتين الابيض: أباكور أملال، أغانيم، ثغانيمت، ثبوهيابولث، أبوحوثو، ثزرارث، ثذفويث، ثمالالث بالنسبة للتين البنفسجي: أباكور أبركان، أمنجار، أزاعيث، ثزاعيشث، الحاج، أبلغنجزر[1].

2-الصناعة

إن كل ما يتعلق بالصناعة الكبرى التّي تشملها القوة المحركة، الآلات المتطورة تقسيم العمل، شراكة رؤوس أموال، لا وجود لها ولم تكن موجودة عند القبائل، فأساليبهم في تحويل المواد الأولية وجعلها في متناول الإنسان تقتصر على أعمال بسيطة منزلية أو حرفية يمارسها أناس معزولون أو النساء في غالب الأحيان.[2]

2-1.صناعة الزيت:

تعتبر صناعة زيت الزيتون من أهم الصناعات في البلاد، فالأساليب تختلف تبعا لطبيعة ونوعية الزيتون، إذ كلما تم جني ثمار الزيتون خضراء أو سوداء لكنها غير جافة، توضع في وعاء كبير من الماء الذي كان يغلي منذ بعض الوقت، ثم يرمى الماء[3] ويوضع الزيتون في ركن من البيت محاطا بالحجارة يسمى أسقون أوزمور (ملجأ الزيتون)[4].

وبعد خمسة عشر يوما أو عشرين يعلو الزيتون عفن فطري ويحوم حوله ذباب صغير، ومن خلال هاتين العلامتين نعلم بأن الزيتون جاهز للمعالجة .بعد عرض الزيتون للمعالجة يترشح الزيت بهدوء عبر ثقوب هذا الصنف من المصافي ليستقر في وعاء يكون موضوعا

---

[1] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص628.

[2] نفسه.، ص645.

[3] نفسه.

[4] كلمة أسقون، تنطبق على المكان الذي يأوي إليه عادة حيوان متوحش ويقال مثلا أسقون باوثو (مأوى الأرنب)، أسقون قيلاف مأوى الخنزير.

تحتها، عندما ينتهي الزيت من الترشح، ينتقل لمعالجته بالماء البارد، يعطى زيتا ذا نوعية أقل، يسمى زيت بوهدوم (زيت الحوض) ويباع بنصف السعر[1].

أما ثمار الزيتون التّي نضجت فوق الشجرة لا تعالج بنفس الطريقة الأولى، فلب الثمرة لا ينفصل عن النواة عن طريق الغلي، كما تصاب النساء بجروح في أقدامهن عند دوسه، الزيت الذي ينتج بهذا الأسلوب يسمى زيت "أوبراي" نسبة إلى الحجرة التّي تستعمل لسحق الزيتون، وسعره مرتفع في السوق متجاوزا نسبة 15 إلى 20 بالمائة من الزيت المستخرج بالطريقة الأولى[2].

يتم صنع أحجار سحق الزيتون من طرف حرفيين بواسطة مطرقة غليظة مزودة بطرف حاد، وهي منحوتة من حث به نسبة كبيرة من الكلس لصنع رحى ذات نوعية جيدة، لذا فهي تتأكل بسرعة[3]، يباع الحجر الواحد في المتوسط ب 20 فرنك أما المعصر فهو يتكون من طاولة خشبية ثابقسيت، بعمق يتراوح بين 0.3 م و0.4 م بالشكل الذي يجعل منها حوضا، وزودت بإحدى الجهات بثقب يسمح بمرور الزيت، وعلى طرفي الطاولة يتم تثبيت دعامتين من الخشب بإحكام إلى الأرض تفصل بينهما عارضة في الأعلى، هذه العارضة مزودة بوسطها ثقب ملولب بشكل عمودي بقطر يتراوح بين 0.18 إلى 0.20 ويتم التحكم في تحريكه بواسطة رافعة[4] .

[1] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص646.

[2] نفسه، ص 647.

[3] نفسه، ص 684.

[4] نفسه، ص 649.

فنجد بعض الفرنسيون الذين أقاموا معاصر في منطقة القبائل فالزيوت التّي ينتجونها ولا يميزون بين أنواع الزيتون ولا تدوم وهذا يقلل من قيمتها، إضافة إلى ذلك فيشتهر القبائليون بصناعة السلاح، وقد أصبحوا يقومون بصناعة أجود البنادق والبارود[1].

2-2.صناعة الصابون:

يصنع القبائليون الصابون من البوتاكس والكلس، وللحصول عليه يتم خلط كميتين متساويتين من رماد الأخشاب مع الكلس، ثم يغلى هذا المزيج في كمية كافية من الماء ويغسل إلى غاية إزالة المواد العلوية. وحيث يترسب المحلول ويصفى يصب عليه زيت ساخن إلى غاية تحوله إلى صابون كامل[2].

وعندما يتم الحصول على هذا الصابون الرخو المتشبع بالزيت، أملسا وناعما بلون أخضر غامق بلون الزيت المستعمل في تحفيز مادة الحديد الموجود في الرماد، يصبح حينذاك صالحا للاستعمال، فالرماد الذي يستعمل في صناعة الصابون هو من أشجار متنوعة كدردار والبلوط الأخضر وبلوط الزان الخ[3].

2-3.صناعة الجلود:

إن طرق دبغ جلود الأبقار والماعز والأغنام الموجهة لإعداد الجلود المتشابهة لدى كل القبائل ولدينا نحن أيضا، لكن مع ذلك ناقصة، بعد غسل الجلود يتم إخضاعها عدة مرات لمفعول "حليب الكلس" لتسهيل عملية إزالة الشعر عليها[4] .

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرأة تقد وتع وتح محمد العربي الزبيري، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1989، ص66.

[2] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص 650.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص652.

وبعد أربعة أو خمسة أيام توضع في أحواض مليئة بنفس السائل لإخضاعها لعملية انتفاخ، تخرج الجلود بعد خمسة عشر يوما من الخمس في السائل وتشفط أو تقشر بآلة حديدية عريضة ثافروث ليست حادة، بعد استخراجها وغسلها الجلود في سقيفة جيدة التهوية لتجفيفها، عندما تجف تخضع الجلود إلى عملية تسوية بواسطة آلة حديدية في شكل هلال مثقوب لتليين الأجزاء الصلبة التّي نسبت فيها عملية الدبغ،[1] يتم الحصول بهذه الطريقة على جلد يمتاز بخفته الملفتة[2].

2-4.صناعة البارود:

بدأت صناعة بارود البنادق تتراجع في منطقة القبائل، وهي تمارس بسرية، وكانت هذه الصناعة قبل سنة 1857. نشيطة تمارس بجميع القرى. إن طرق صناعته بسيطة فالمواد الأولية كملح البارود والكبريت والفحم، تسحق معا في نفس الوقت بواسطة مدقة خشبية في مهراس، يتم هذا العمل يدويا[3]،

وبإضافة كمية كافية من الماء عند الدق نحصل على شبه عجينة توضع في صحن كبير من الخشب ثم تعالج باليد لتحويلها إلى حبات بنفس طريقة إعداد الكسكسي، بعدها يتم عرض البارود لأشعة الشمس، حيث يجف بما فيه الكفاية يفرغ في قرع (يقاطين) التّي يتم تحريكها وهزها في كل الجهات لمدة يوم أو يومين حتى تصبح الحبات ملساء، وعند إخراجها من القرع من جديد لأشعة الشمس قبل تخزينها [4].

[1] أدولف هانونو، المصدر السابق، ص 652.

[2] نفسه، ص 653.

[3] نفسه، ص 658.

[4] نفسه.

أشتهر سكان قرية أث العربي بأثيني بصناعة أحسن بارود يقتني القبائليون الجزء الأكبر من ملح البارود لدى الفرنسيين بالجزائر العاصمة وذلك بسعر مرتفع وهم يعزون ذلك إلى المخاطر التّي تحدق بهم جراء ممارستهم لهذه التجارة المحظورة[1].

3-التجارة:

فالضرورة التّي دفعت بالقبائل إلى ممارسة التجارة، جعلت منه تاجرا ماهرا، إنه عامل، متحمل لمشاق المشي والسفر، يتسم بالدهاء والحيلة، إيجابي، عاقل ومتقشف، يقتصد إلى حد البخل، ويمتاز زيادة على ذلك بدرجة عالية بروح الشراكة[2].

إذا ما تمكن الممارسون لهذا النشاط من الحصول على رؤوس أموال كبيرة سيتمكنون من تعلم أساليبنا دون إبطاء، ويشكلون منافسين شرسين لتجارنا، كما سيقدرون قيمة مؤسسات الائتمان حالا[3].

وهناك نوعان من التجارة في المنطقة القبائلية تجارة خارجية والتي كانت مع الأقطار الإفريقية والأوروبية وبالنسبة للتجارة الداخلية فقد شهدت المنطقة نشاطا واسعا[4].

يستورد القبائليون القمح والشعير والثيران لخدمة أراضيهم ولاستهلاك لحومها، وكذا الأبقار الحلوب والأغنام والبغال والصوف والمنسوجات القطنية والحرير والحديد والنحاس والقصدير والرصاص، ويصدرون الزيت والتين والثياب المنسوجة والجلود والأواني المنزلية الخشبية من صحون ومعالق وكذا الفخارية والفلفل الأحمر والحلي والأسلحة[5].

---

[1] نفس المصدر السابق، ص659.

[2] نفسه ، ص685.

[3] نفسه.

[4] العربي بن الزبيري، المرجع السابق، ص15.

[5] أدولف هانوتو، المصدر السابق، ص686.

فالتجارة في الحيوانات تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة نسبيا 3000 فرنك على الأقل، لذا كثيرا ما يشترك شخصان أو ثلاثة في الاتجار فيها، فثيران الحرث يتم شراؤها في قسنطينة وخاصة بنواحي قالمة، أما الحيوانات الموجهة للاستهلاك تستقدم من مناطق الغرب الجزائري، فثيران هذه المناطق لا تتمتع بتقدير كبير لدى القبائل في المجال الفلاحي[1].

تستورد منطقة القبائل الصوف من مختلف أنحاء الجزائر ويتكون من ثلاثة أصناف : الجزات والصوف الذي يجلبه التجار المتجولون والذي كثيرا ما يكون مختلطا وذو نوعية أقل والنوع اللصيق بجلد الخروف (الناعم) أما المعادن فيقتنيها الحرفيون القبائل مباشرة لدى التجار الفرنسيين[2].

فتجارة الزيت من طرف القبائل بدأت تتراجع في المدة الأخيرة كونهم أصبحوا يبيعون جزء من منتوجهم من الزيتون للأوروبيين، يباع التين بالأسواق المجاورة للمنطقة كما يقصد أجانب كثيرون منطقة القبائل للتزود منها مباشرة، ففي معظم الأحيان تتم مقايضة هذه المادة الغذائية بمادة أخرى، فمقدار واحد من التين يقايض بمقدارين من القمح.[3]

القبائل يفضلون هذا الأسلوب على غيره في التجارة، إذ يضمن لهم مضاعفة أرباحهم وحين عودتهم إلى بيوتهم بعد سفر طويل يحضرون دائما معهم بضاعة وليس نقودا إلا إذا كانت المناطق التّي يعبرونها غير أمنة[4].

[1] نفس المصدر السابق، ص687.

[2] نفسه ، ص687.

[3] نفسه، ص688.

[4] نفسه، ص689.



خـــــاتمة

خاتمة:

لقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج ولعل من أهمها ما يلي :

- شكل المجتمع القبائلي بلغته ولهجته وطرق تعليمه مظهرا من مظاهر تمسك المجتمع بتقاليده وأعرافه .

- أما الجانب الاجتماعي فان العادات والتّقاليد كانت هي المتحكمة على المعاملات الدينية والقانونية وهذا بواسطة الأعراف التّي كانت بمثابة منظومة قانونية منظمة إلى معاملات وحدود الأعراف ،زيادة عملت العادات والتّقاليد على تغيير بعض الأحكام الدينية المتعلقة بميراث المرأة وفي نفس الوقت منظمة لمراحل ظاهرة الزواج.

- ان العادات والتّقاليد القبائلية هي التّي جعلت الفرد القبائلي يرتبط ارتباطا كبيرا بالأرض والزراعة ،التي كان لها أثر كبير في المعاملات التجارية ونشاط واسع وتبادل كثير للسلع والمنتوجات القبائلية .

- لقد كان للادارة الفرنسية تجاه هذا التمسك الاجتماعي الذي نجم عن تشبت المجتمع القبائلي بعاداته وتقاليده ،عدة دراسات تخطيطية عسكرية وسياسية كدراسة هانوتو، كانت تهدف كلها إلى ضرب وحدة هذا المجتمع .

- قال المؤرخ محمد أرزقي فراد أن الدراسات الكلونيالية الفرنسية لا تزال تفعل فعلتها بعقول الرأي العام الجزائري والدولي، وقال المتحدث فراد بأن كتاب ومثقفي ومؤرخي فرنسا استعملوا الدراسات الأثروبولوجية لتركيبة الجزائر الثقافية والعقائدية كوسيلة لبسط نفوذها على الجزائريين لهدم المجتمع الجزائري تاريخيا وثقافيا، وتطرق المؤرخ أرزقي فراد على هامش المحاضرة التّي نظمها بتاريخ 25 -10 -2011 . لمجلس الاعلى للغة العربية بكثير من التحليل والتفصيل إلى سرد تاريخ منطقة الزواوة التّي استعملها الباحث الفرنسي أدولف هانوتو كنموذج لدراسته الأثروبولوجية الموجودة على كتاب (قواعد لسان الأمازيغ)

و(الشعر الشعبي لقبائل جرجرة) . وكتاب منطقة القبائل هذا يعد موسوعة ثقافية واجتماعية لهذه المنطقة . وحسب المحاضر فان هذا المؤلف رغم أهميته في توثيق الثقافة الشفوية لتلك المنطقة، الا أنه مصبوغ لضرب أسس الاسلام والعروبة والوحدة الوطنية وهدفه تحطيم لحمة الشعب الجزائري بانتهاجه سياسة (فرق تسد)، وذلك باتخاذه منطقة الزواوة كهدف مباشر لضرب المجتمع الجزائري قد رسم هانوتو حسب المحاضر فراد صورة قائمة للمجتمع الزواوي وخاصة صورة المرأة التّي صورها على أنها جنس رخيس يباع ويشترى، وأكد الدكتور فراد ا الباحث هانوتو عمد ايضا في مؤلفاته على تشويه صورة لالة فاطمة نسومر، وتجرأ بكل وقاحة على خدش عرضها وتلك محاولة منه لابعادها على المقاومة ومساندیها . ويرى المتدخل أن دراسات أدولف هانوتو لم تتوقف عند هذا الحد بل تعدتها إلى ضرب الدين واللغة بالخصوص، وذلك بتقسيمه إلى عرب وبربر وأدرج بذلك سكان القبائل ومنطقة زواوة بتحديد إلى بربر وادعائه بان اسلامهم سطحي لتمزيق لحمة الجزائريين .

– اذ عدنا إلى كتابات ابن خلدون الجزء السابع أين يوضح تداول حركات دينية على شمال افريقيا قبل ظهور الاسلام، ففي الغالب يعتنق القبائليون الدين الاسلامي وينتمون إلى المذهب الملكي، بالرغم من التأويلات التّي كتبت حول ديانة القبائل ابان الفترة الاستعمارية على أن الفرد القبائلي أكثر استعدادا لاعتناق الديانة المسيحية وعلى أن منطقة القبائل كانت أكثر ترحيبا بالمسيحية مقارنة بالمناطق الأخرى في الجزائر .

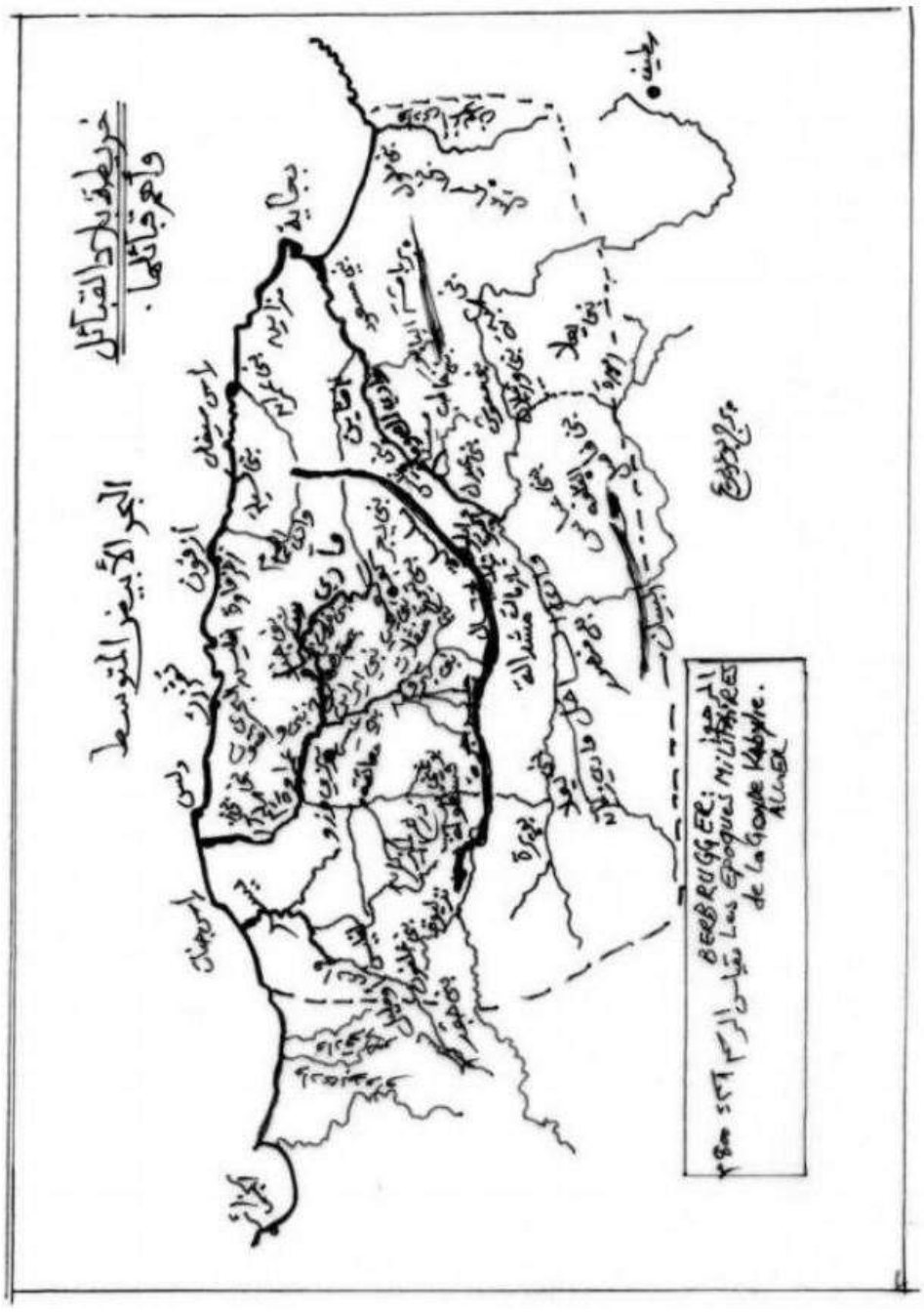
لقد كان لهذه الدراسات التّي عملت الادارة الفرنسية على تكرسيها مصير واحد تمثل في تفكيك المجتمع القبائلي وتهديمه، الا أنه أباءت بالفشل وعدم تحقيق أهدافها نتيجة تماسك المجتمع الجزائري رغم اختلاف عادات وتقاليد كل منطقة .



الملاحق

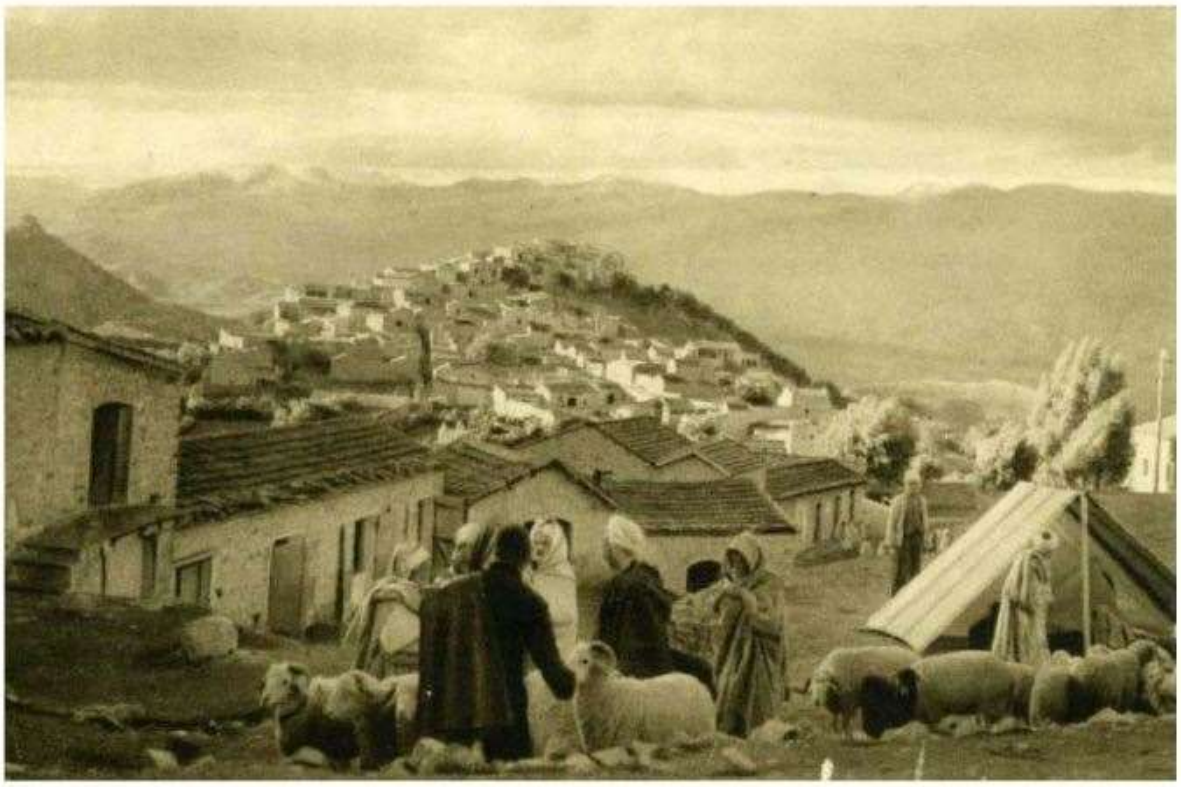
الملاحق:

الملحق رقم (01): خريطة منطقة القبائل[1]



[1] سوكي محمد آيت أكلي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الاحتماعية من القرن 20-13هـ / 16-19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في التّاريخ الحديث، قسم التّاريخ ' كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر ،2007، ص 183.

الملحق رقم 2: سوق الأربعاء بمنطقة القبائل[1]



[1] بولجنت كيسة، العادات والتّقاليد في بلاد الزواوة بين القرنيين 17-19م، مذكرة جامعية لنيل شهادة ماجستر في التّاريخ، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2010،ص 193.

الملحق رقم 3: معصرة تقليدية للزيتون في منطقة القبائل[1]



[1] حمداني مالية، مرجع سابق، ص 273.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1-المصادر بلغة العربية:

أ-القرآن الكريم :

ب- الكتب :

1-ابن خلدون عبد الرحمن، العبر والديوان المبتدأة والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن أعمارهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء 1، الجزء 7، موفم للنشر، 1995م .

2-أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، دت

3-أبويعلي الزواوي، الأمية في أمتنا الجزائرية وقلة القراءة، البصائر، الجزء 2، الجزائر، 1948 م .

4-برنيان أندري وآخرون، الجزائر، 1984م .

5-حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982.

6-هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: عبد الحميد مخلوف، ج 1، 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2013 م .

ج- القواميس:

1-ابن منظور (محمد بن كرم)، لسان العرب، الجزء 11، بيروت للطباعة والنشر، لبنان، دت .

2-المراجع بلغة العربية :

1-دباب فوزية، القيم والعادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية والنشر، بيروت، دت .

2-الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين (1792- 1890)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

3-ساحي أحمد، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد امارة كوكو(1512-1767)، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ،2015م.

4-العبادي أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، دت.

5-الساعاتي حسن , علم الاجتماع القانوني .

ب- الدوريات :

1-باعزيز عمر، الكلام عن اصلاح التعليم بهذه الزوايا، ج2، المجلد 9، فيفري 1993م .

2-بوعزيز يحي، الحالة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الريفي بشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة والسياحة، ش،و،ن،ت، الجزائر، عدد مارس – أفريل، 1984م.

3-جاب الله عبد الله , دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف علمية محكمة، العدد14، 2013م، جامعة أكلي محند أولجاج، البويرة .

ج- الرسائل الجامعية :

1-ابن باجي أمينة , (السيدة بوشناق خلادي) , منطوق بني سنوس الأمازيغي (دراسة صوتية ووظيفية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في علم اللهجات، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009 م.

2-أسعد فايزة، العادات الإجتماعية والتّقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة مقارنة سوسيو انثربولوجية لعادات الزواج والختان مدنتي وهران وندرومة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه علوم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإجتماعية جامعة وهران، 2012م.

3-جعفري عزالدين، اطلس العادات والتّقاليد بمنطقة توات، أطروحة مقددمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ التراث اللامادي الجزائري، قسم تاريخ كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م.

4-مالية حمداني ،المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية دراسة ميدانية في ذراع بن خدة وقرية ترتمين، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستر، تخصص علم الاجتماع الريفي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2010م.

5-موساوي فلة المولود الفشاعي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث مكمل لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التّاريخ الحديث، 1983م.

ت- المجلات :

1-أرزقي فراد، دراسات أدولف هانوتو الأثروبولوجية شوهت صورة الأمازيغ، جريدة الجزائر، 25-10-.2011

2-مجلة أثروبولوجية الأويان، المجلد 18، العدد2، 6-5-2022.

2-المصادر بلغة الفرنسية :

1-Daumas (M) et (M) , la grande Kabylie ètude historique ,libaires de l'universitè royal de France 1847 .

2-Hanotaux (A) et letourneneux (A) la Kabaylie et les coutumes kabayles ,toms 1 , 2 ,pariwimprierie nationale M D G L XXll.

فهرس
المحتويات

مقدمة: .....أ

مبحث تمهيدي: بطاقة قراءة 6

المطلب الأول: تعريف أدولف هانوتو 6

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب "منطقة القبائل والأعراف".....6

المطلب الثالث: دوافع الكتابة.....8

المبحث الأول: الاطار المفاهيمي 10

المطلب الأول: تعريف العادات والتّقاليد.....10

1- تعريف العادات 10

1-1. تعريف العادات لغة _____ 10

1-2. تعريف العادات اصطلاحا _____ 10

2- تعريف التّقاليد.....11

2-1. تعريف التّقاليد لغة_____ 11

2-2. تعريف التّقاليد اصطلاحا _____ 12

المطلب الثاني: تعريف العرف.....12

المطلب الثالث: تعريف القبائل 14

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي (الملامح الجغرافية والبشرية).....16

المطلب الأول: أصل السكان 16

المطلب الثاني: التضاريس.....18

1-الجبال.....18

1-1.منطقة الوسط: _____ 20

1-2.المنطقة الشرقية_____ 21

1-3. المنطقة الساحلية _____ 22

1-4. المنطقة الغربية_____ 23

2-المياه 24

3-الأراضي.....26

المطلب الثالث: النباتات والحيوانات 27

1-النباتات 27

2-الحيوانات 31

المبحث الثالث: العادات والتّقاليد عند المجتمع القبائلي 35

المطلب الأول: الجانب الثقافي.....35

1- اللغة (اللهجة).....35

2- الدين 38

3- اللباس والغذاء 40

3-1. اللباس_____ 40

3-2. الغذاء _____ 41

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي 43

1-الزواج والطلاق 43

1-1.الزواج: _____ 43

1-2. الطلاق (أفرو-نا- طمطوث)_____ 46

2- الميراث 48

3- التعليم والطب 50

3-1. التعليم _____ 50

3-2. الأمراض والطب _____ 54

المطلب الثالث: الجانب الاقتصادي 57

1-الزراعة:.....57

1-1.الزراعة في الجبال: _____ 58

1-2.الفلاحة في السهول: _____ 58

2-الصناعة.....61

2-1.صناعة الزيت: _____ 61

2-2.صناعة الصابون: _____ 63

2-3.صناعة الجلود:_____ 63

2-4.صناعة البارود:_____ 64

3-التجارة: 65

خاتمة: 68

الملاحق:.....72

قائمة المصادر والمراجع : 76